

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

UNIVERSITÉ BADJI MOKHTAR-ANNABA
BADJI MOKHTAR-ANNABA UNIVERSITY



جامعة بادجي مختار - عنابة

الكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية
القسم: التاريخ وعلم الآثار



مطبوعة بيداغوجية بعنوان:

العلاقات الجزائرية الأوروبية 01

تخصص تاريخ الجزائر الحديث (1519م-1830م)

موجه لطلبة أولى ماستر

من إعداد الدكتور :

بك محمد

الرتبة: أستاذ محاضر (أ)

السنة الجامعية: 2025/2024



عنابة في: 2024/12/22

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية

بتاريخ 2024/12/22

وافق المجلس العلمي للكلية في اجتماعه المنعقد بتاريخ 2024/12/22 على اعتماد المطبوعة

البيداغوجية ، للاستاذة : بك محمد بعنوان : العلاقات الجزائرية الأوروبية ، بعد ورود التقارير الايجابية

المجلس العلمي للكلية

رئيس المجلس العلمي للكلية

الأستاذة الدكتورة: أمل دهران

عميدة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مقدمة :

تتناول هذه المطبوعة البيداغوجية الدروس الكاملة الخاصة بمقياس " العلاقات الجزائرية الأوروبية 01 " المقررة والموجهة الى طلبة سنوات الأولى ماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث (1519 م – 1830م) (ل . م . د) والتي سنتعرف من خلالها على كل ما يتعلق بالعلاقات السياسية والاقتصادية التي ربطت إيالة الجزائر ببلدان أوروبا الكبرى (اسبانيا ، فرنسا ، انكلترا).

والحقيقة أن هذه الدروس هي عبارة عن تنمة لما تحصل عليه الطلبة في السنوات الدراسية الماضية من معلومات ومكتسبات ، وقد حاولت من خلال عرض دروس هذا المقياس أن أقدم للطلبة نظرة شاملة وصورة صادقة وموضوعية عن العلاقات الجزائرية مع الأقطار الأوروبية في المجالات المختلفة السياسية والاقتصادية. والوقوف عند أهم العوامل والأحداث التي ساهمت في ربط العلاقات وتوثيقها بين السلط الحاكمة ، وكان الغرض الأكيد من ذلك تزويد الطلبة برصيد علمي ومعرفي عن تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني .

أما بخصوص طرائق التعليم والتعلم في هذا المقياس ، فقد اعتمدت على طريقة اللقاء وطريقة العرض والشرح باستخدام وسائل تعليمية مختلفة ، اما ما يخص طريقة التقييم فأجد الأعمال الموجهة 50% + الامتحان 50% .

المكتسبات والأهداف : ولتحقيق الأهداف القيمة حاولت أن أجيب على مجموعة من التساؤلات التي تخدم هذه المواضيع بصفة مباشرة ، وهي التعرف على نشأة العلاقات وتطورها بين الجزائر والبدان الأوروبية .

مكتسبات معرفية : تخص تعرف الطلبة على تاريخ الجزائر الحديث خلال العهد العثماني.

مكتسبات مهارية : التعرف على طرق البحث بهدف الحصول المادة الخيرية من مصادر تاريخ الجزائر الحديث وتوظيفها في عملية البناء والانشاء .
أما عن الهدف العام للمادة التعليمية :



تعرف الطلبة على تاريخ الجزائر السياسي والعسكري والاقتصادي خلال فترة الحكم العثماني.

أما عن الأهداف المنشودة من دراسة هذا المقياس يمكن ايجازها في العناصر التالية:

- اكتساب معارف تاريخية دقيقة و صحيحة .
- دراسة روابط التواصل بين الجزائر والدول الأوروبية خلال العهد العثماني في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية .

ولتطوير المعارف والمكتسبات فإني أوصي وأنصح الطلبة بالرجوع الى المصادر والمراجع الرئيسية والأرشيف الوطني والمخطوطات المختلفة والكتابات الأجنبية ، والاستعانة بالمراجع الالكترونية ومواقع الانترنت .

محتوى المادة العلمية وفق المنهاج المقرر:

المحور الأول : علاقات الجزائر مع اسبانيا

المحور الثاني : علاقات الجزائر مع فرنسا

المحور الثالث : علاقات الجزائر مع انكلترا

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت في إعداد هذه المحاضرات وأن تتال رضا الطلبة الأعراء ، وأن تفيدهم في دعم وإثراء المكتسبات والمعارف لديهم .

تمهيد : اتسمت العلاقات السياسية بين ولاية الجزائر والدول المسيحية وخاصة منذ القرن

السابع عشر بالتوتر شبه الدائم وبعدم الثقة بين الجانبين وكان لقضايا القرصنة والأسرى

والتجارة والأوضاع السياسية في أوروبا ، وكذا الوجود الإسباني في قاعدتي " وهران "

و" المرسى الكبير " بالغ الأهمية في تحديد صبغة العلاقات بين الولاية من جهة ، والدول

المسيحية من جهة أخرى ، وقد كانت الولاية تستمد أهميتها الدولية أساسا من قوتها

البحرية التي جسدها أسطولها الحربي ، وقد بدأت الولاية تلعب دورها الدولي بإسم الباب

العالي في عهد مبكر واستطاعت أن تحفظ التوازن في حوض البحر الأبيض المتوسط

الغربي ، و أن تبطل خطط التوسع الإسباني ، لا في إفريقيا فحسب وإنما في أوروبا نفسها

، ونبحث هنا بإيجاز علاقة الولاية بالدول المسيحية التي كانت لها علاقة قوية مع الولاية كل دولة حسب أهميتها.

من المؤكد أن المتتبع لمسار العلاقات الجزائرية الأوروبية على امتداد ثلاثة قرون، يستنتج عدد من المبادئ التي استرشدت بها الدبلوماسية الجزائرية في تعاملها مع الأطراف الأخرى يمكن إيجازها في النقاط التالية :

المبدأ الأول: التعاقد المتكافئ مع أي طرف كان، فلم تقم بإبرام اتفاق في حالة ضعف أو استجداء صلح مهما كانت الظروف التي تحيط بالجزائر، وكثيرا ما كانت ترد في مراسلات المسؤولين مع الأطراف الأوروبية هذه العبارة " إن مفعول كلمة طيبة أقوى وأكثر تأثيرا من مائة سفينة حربية ".

المبدأ الثاني: الوفاء بالعهد والتقيد بالالتزام حتى عندما يؤدي ذلك إلى الإضرار بمصالحها.

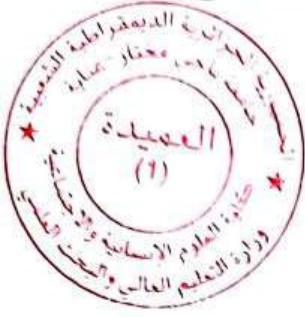
المبدأ الثالث: اعتبار كون حالة السلم هي الحالة الطبيعية في العلاقات الدولية، والحرب هي حالة استثنائية.

المبدأ الرابع: المساواة في التعامل مع جميع الدول الكبيرة منها والمتوسطة والصغيرة على حد سواء.

المبدأ الخامس: التسامح الديني وحماية وتأمين مصالح الجانب المقيم على أرضها. حاولت الجزائر في البداية أن تعمم هذه الحماية وتضيفها حتى على رعايا دولة هي في حالة حرب معها. لكن موقف الدول الأوروبية هو الذي اضطرها إلى اتباع مبدأ المعاملة بالمثل في مثل هذه الحالة.

كما عملت الدبلوماسية الجزائرية في اتجاه تعميم حالة السلم في الحوض الغربي للمتوسط عن طريق الالتزام بعدم مساعدة طرف حتى ولو كان قريبا منها، هو في حالة حرب الدولة المتعاقد معها. ولتأكيد هذه الرغبة العميقة في السلم التزمت الجزائر منذ بداية القرن

¹ عياشي بلقاسم ، تأثير مسألة القرصنة والأسرى في العلاقات الجزائرية الأوروبية من القرن 16م إلى القرن 19م ، مجلة البحوث للدراسات الإنسانية، المجلد 17 ، العدد 01، السنة 2023، ص 852 .



السابع عشر بموقف الحياد في الصراعات الأوروبية، وهو المبدأ الذي لم تحد عنه حتى سقوط الدولة صبيحة يوم 5 جويلية 1830 م¹.

المحور الأول : علاقات الجزائر مع إسبانيا

المحاضرة الأولى

الغزو الإسباني لسواحل الجزائر وخطواته

نتيجة للأوضاع المزرية للدولة الزيانية ساعد الإسبان في تحقيق بعض الأهداف في

منطقة شمال إفريقيا التي تتمتع بأهمية بالغة حيث بدا ذلك جليا من خلال بسط الإسبان نفوذهم على أغلب المدن الساحلية الجزائرية وممارسة الاعتداءات المتكررة عليها ضمن خطط استعمارية مدروسة وقد كان لهذا الاحتلال الإسباني على المدن والموانئ الجزائرية أثر بالغ، حيث تعتبر الغارات الأوروبية على المغرب الأوسط امتداد للحروب الصليبية التي شنتها أوروبا بدعم من الكنيسة الكاثوليكية على شمال إفريقيا وخاصة السواحل الجزائرية مثل وهران والمرسى الكبير وكذلك بجاية وتنس وغيرها بغية نشر المسيحية ولم تكن هذه الأخيرة وحدها المسؤولة عن هذا الغزو وانما هناك عدة دوافع نذكر أهمها:

1 - الدوافع الدينية:

تعد أقواها نظرا للعداوة المستمرة بين الإسلام والنصارى والتي ترجع إلى عهد الدعوة المحمدية، وكذا هذا التعصب الديني الذي دعا إليه رجال الدين المسيحي سببا في إشعال الحماس الصليبي لدى الأوروبيين عامة والجموع الإسبانية خاصة لمحاربة الدين الإسلامي².

فبعدما تمكنت إسبانيا من القضاء على الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية،

¹ جمال قنان ، نظرة حول العلاقات الجزائرية الأوروبية في العصر الحديث 1500 - 1830 م، المصادر، العدد 18، ص ص 15-17.

² أسماء بليلي، التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن 10 هـ / 16 م، قراءة في الدوافع والنتائج، مجلة روافد البحوث والدراسات، العدد الثاني، جامعة غرداية، 2017، ص 36.

أصبحت إسبانيا تعتبر نفسها ممثلة العالم المسيحي، وهذا ما ركز عليه مؤرخي الكاردينال خسيمينس من خلال المشاريع الإسبانية في بسط نفوذها على السواحل الإفريقية المقابلة لها¹.

ومن أجل إخضاع بلاد الشمال الإفريقي أصدر البابا أمره السامي وهو أن يستمر كل المسيحيين في دفع ضريبة صليبية لملوك إسبانيا من أجل الحرب الإفريقية، وبوفاة الملكة إيزابيلا تركت وصية تطلب فيها كل من يتولى الملك بعدها بعدم الكف عن القتال في سبيل الدين ضد الكفار والذين هم المسلمون وفتح إفريقيا فقد كانت أعلى أمنية على قلبها².

2 - الدوافع الاقتصادية:

وتتمثل في رغبة إسبانيا في إقامة إمبراطورية مترامية الأطراف، خاصة بعد اكتشاف العالم الجديد، وكذلك طريق التوابل، ومن أجل ذلك عملت إسبانيا على احتلال سواحل المغرب الإسلامي وذلك لأهميتها في كل اتصال بحري آمن بين السواحل الإسبانية وأصبح بإمكانها مراقبة السفن المارة في البحر المتوسط³.

لذلك نجد إسبانيا تركز على الموانئ الاستراتيجية، حيث باشرت باحتلال المرسى الكبير وهو أحسن مرفأ على الساحل الجزائري، كما سعت باذلة جهود كبيرة للاحتفاظ بإمارة تلمسان تحت نفوذها، نظرا لكونها بوابة رئيسية نحو الإمارات الإفريقية جنوب الصحراء، فمن طريقها تعبر كميات من السلع والبضائع⁴.

كما أن تفويض دولة الأندلس الإسلامية، وانهيار النظامين الاجتماعي والاقتصادي الإسلاميين في بلاد إسبانيا، هذا ما وضع هذه الأخيرة في مشكل اقتصادي، حيث تعطل الإنتاج وركدت التجارة الخارجية، وانقطعت وسائل التصنيع، وأمام هذا الوضع المزري

¹ عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية (910 - 1206 هـ) (1505-1792م) دراسة تناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، ص ص 15-16.

² بسام العسلي، خير الدين بربروس 1470 - 1547، دار النفائس، بيروت، ط 1، 1980، ص ص 58-59.

³ صالح حيمر، التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1541، وتأثيراته الإقليمية والدولية، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2007 - 2006، ص 34.

⁴ صالح حيمر، المرجع نفسه، ص 35.

الذي تبعته إسبانيا اتبعت لكسب القوات طريقة اللصوصية والعدوان المسلح الذي يطلق عليه استعمار¹.

كذلك فإن إسبانيا بعد الكشوفات الجغرافية، سعت إلى القضاء على تجارة المسلمين وذلك بالسيطرة على المراكز التجارية في شمال إفريقيا واحتلال المناطق المميزة بغناها بالثروات الطبيعية، والحيوانية خاصة بعد الانهيار الاقتصادي لإسبانيا الذي حل بها بعد اضطهاد المسلمين².

كما عملت الكشوفات الجغرافية على تنمية الروح الصليبية لكل من إسبانيا والبرتغال من خلال السيطرة على الخطوط المؤدية إلى الهند وبالتالي دخولها في نزاع طويل مع المسلمين في البلاد المفتوحة³.

3 - الدوافع السياسية والعسكرية:

بعد الانتصارات التي حققتها إسبانيا في الأندلس فكر ملوك الإسبان في توسيع ملكهم إلى ما وراء المتوسط⁴، وذلك تمهيدا لخلق إمبراطورية واسعة وريادة المسيحية وذلك بغزوهم لبلد إسلامي، كما قام الإسبان ببناء قواعد عسكرية أمامية على شواطئ المغرب الأوسط وفي كل شمال إفريقيا دون اتصال الأندلسيين بالمغاربة⁵، ووضع حد لما كن يحدث في الشواطئ الإسبانية من أضرار، وكذلك بغية تأمين مواصلاتهم بينها وبين إيطاليا، واتخاذ هذه القواعد العسكرية سبلا لاحتلال المناطق الداخلية. إضافة إلى ذلك فقد مثلت القرصنة دافعا رئيسيا للسياسة الإسبانية ضد الجزائر⁶.

مراحل الغزو الإسباني لسواحل الجزائر:

¹ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثين سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492 - 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 87.

² خلوفي بغداد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعة موجهة إلى طلبة السنة الثانية ليسانس تخصص تاريخ عام، 2016، ص 7.

³ مفيدة بن يوسف، الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، 16 و 17 مذكره ماجستير، جامعة الجزائر، 2010/2011، ص 16.

⁴ عائشة جميل، الجزائر والباب العالي من خلال أرشيف العثماني، 1830 1530، أطروحة دكتوراه جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2018، ص 6.

⁵ أحمد بحري، الجزائر في عهد الدايات دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية، ج 2، دار الكفاية، الجزائر، ط 1، 2013، ص 41.

⁶ نجيب دكاني، الاحتلال الإسباني لسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائري خلال القرنين 10 و 16 م، ماجستير، جامعة الجزائر، 2001. 2002، ص 20.

1 - احتلال المرسى الكبير 1505م:

عمت الفوضى والاضطرابات في الدولة الزيانية فاستغل الإسبان هذه الفرصة حيث قاموا باحتلال المرسى الكبير سنة 1505،¹ عندما عزم الملك فرديناند الكاثوليكي على الشروع في الاحتلال، لم تكن الخزينة الإسبانية تسمح بتجهيز الجيش، ولا جمع وتزويد الأسطول فتطوع الكاردينال خيمينيس من ماله الخاص به جهاز الأسطول، واعانتته الكنيسة بأموالها، فأمكن جمع الحملة والإقدام على الغزو.²

وقد كانت الجهة الغربية للمغرب الأوسط أول منطقة تطأها أقدام الإسبان وثاني ، منطقة بالمغرب الإسلامي بداية من موقعين متجاورين ساحليين هما المرسى الكبير 1505 و وهران سنة 1509³.

غادر الأسطول الإسباني مدينة مالقة يوم 29 أوت 1505⁴، لكن رياحا مضادة اضطرتها إلى تأجيل الرحيل، ولم تغادر إلا مساء يوم 9 سبتمبر، وقد أفاد هذا التأخير الإسبان من غير أن يقصدوا إلى ذلك، فقد سمع سكان المرسى الكبير بالحملة واستعدوا لمواجهة لكن تأخرها من يوم لآخر جعلهم يعتقدون أن الإسبان تخلوا عن خطتهم في مهاجمة واحتلال المرسى الكبير أو أنهم كانوا يقصدون هدفا آخر لم يتمكن المسلمون من منع الإسبان من النزول إلى البر رغم المقاومة العنيفة التي دامت ثلاثة أيام، فاستشهد قائد الحامية في اليوم الأول للمعركة والحصار الذي وقعت فيه الحامية، وانقطاع الماء عنها إضافة إلى العدد الضخم الذي يتكون منه جيش الإسبان، كل ذلك اضطر الحامية إلى الاستسلام بعد حصار دام خمسون يوما، وقد تم تحويل جامع المرسى الكبير إلى كنيسة⁵. وما كاد خبر الاستيلاء على المرسى الكبير يصل مسامع إسبانيا، حتى غمرتها موجة من الفرح، وأعلن فيها العيد لمدة أسبوع، لأنها رأت في هذا الفوز بشائر النصر المقبل، وتحقيق كمالها⁶.

2 - احتلال وهران 1509 م:

¹ مولاي بلحميسي، نياية دولة في زيان، مجلة الأصالة، العدد 26، ص 32.

² أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة من الجزائر وإسبانيا 1492 - 1792، المرجع السابق، ص 96.

³ بليروات بن عتو، فتح وهران والمرسى الكبير، في الكتابات التاريخية لعام 1792، مجلة الحضارة الإسلامية، وهران، العدد 12، جوان 2005، ص 269.

⁴ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 96.

⁵ مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في العصر الحديث، ج 3، مكتبة النهضة الجزائرية، ص 23.

⁶ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 101.

انطلق الأسطول لغزو مدينة وهران في 16 ماي 1509 من ميناء قرطاجنة، وكان قوام الحملة خمسة عشر ألف جندي بقيادة بيدرو نافارو، حيث أن أكبر مجزرة اقترفها الإسبان كانت بمدينة وهران، التي عززت بالقائد خمينيس، إلى جانب بيدرو نافارو، وصلت الحملة يوم الجمعة 17 ماي 1509، فنزل المشاة بساحل وهران يتقدمهم الكاردينال الخمينيس، ورهبانه رافعين الصليب، وفي طريقهم إلى وهران احتلوا مدينة المدينة، وحاولوا احتلال وهران ففشلوا نظرا لحصانتها¹ إلا أنهم سرعان ما تمكنوا من دخولها بواسطة اليهودي سطورا، الذي تمكن من فتح باب المدينة للإسبان بمساعدة بعض الخائنين فدخلها الإسبان ودارت المعركة بينهم وبين الأهالي، فأسالوا الدماء أنهارا حتى احمرت مياه البحر وقام خمينيس بتحويل كل مساجد المدينة إلى كنائس ونهب كل ما وجده من تحف ونفائس شحنها إلى إسبانيا وحرر بالمدينة 300 أسير مسيحيا². احتل الإسبان مرسى وهران، والمرسى الكبير وهددوا مدينة الجزائريين مزغنة تهديدا مباشرا³.

3- احتلال بجاية وعنابة 1510:

لم تكد إسبانيا تثبت نفسها بالجهة الغربية، حتى التفتت إلى الجهة الشرقية، حيث بدأت بالاستعداد لضرب مدينة بجاية من أجل تحطيمها⁴. استولت إسبانيا على بجاية في بداية سنة 1510 م الموافق 915 هـ⁵، حيث بدأت عملية الاستلاء بالخداع حيث غادر الأسطول الإسباني المرسى الكبير يوم 30 نوفمبر 1509، وعند وصوله إلى جزر البليار دعم بقوة إضافية، ثم ألق الأسطول بقوة كبيرة عشرون سفينة كبيرة تحمل 10 آلاف مقاتل وآلات الحصار، وصل الأسطول إلى بجاية في 5 جانفي 1510، بدأت معركة عنيفة مباشرة بتبادل نيران المدفعية، انتصر الإسبان ودمروا المدينة دمارا كليا، وقتلوا أكثر من أربعة آلاف مسلم، كما قاموا بتدمير بجاية وانشاء بجاية الصغيرة الإسبانية، ثم توجه الإسبان

¹ عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر 1619-1694، ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1985، ص16.

² يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص 42.

³ أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ص68.

⁴ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 - 1792، ص 1.

⁵ محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي بيروت، 2000، ص656.

بعدها إلى عنابة واحتلوا في نفس السنة 1510 وتركوا بها حامية لحراستها¹، حيث كان احتلال عنابة دون أي مقاومة. في الوقت الذي وقف فيه حكام بني حفص وبني زيان الذي قضى عليهم الشقاق عاجزين عن رد الخطر الإسباني الذي أصبح من انتصار إلى انتصار².

4 - خضوع مدينة تنس 1515 م:

كانت مدينة تنس أولى المدن التي سارعت إلى إعلان خضوعها³، ذلك أنها كانت خاضعة للسلطان أبو محمد عبد الله الذي تخاذل وطلب المساعدة من الإسبانين من أجل أخذ هذه المدينة، مما جعل الإسبان يتخذ هذه المدينة قاعدة لتحركاتهم، ولما وصل الخبر لخير الدين سارع لحصارها ونجح في استرجاعها واحتواء ما فيها ثم رجع إلى الجزائر⁴.

5 - احتلال الجزائر:

بعدما أن احتلت إسبانيا المدن الساحلية مثل وهران وبجاية، سارعت إلى توسيع هيمنتها إلى كامل المدن الساحلية المتبقية ومن ذلك الجزائر والتي شعر سكانها بوفود الخطر المسيحي بقيادة إسبانيا لبسط نفوذها فتوجه أعيان مدينة الجزائر إلى بجاية لطلب الصلح مع الأميرال بيدرو نافار وكان ذلك رفقة سفراء فأمرهم بالتوجه إلى الملك الكاثوليكي. فسار الوفد الجزائري رفقة مولاي إسماعيل حاكم تنس والذي أعلن خضوعه كذلك هو الآخر محملين بالهدايا وذلك سنة 1511 واتفق الطرفان على تسليم الجزائريين أكبر جزرهم للإسبان بمعية ضمان تجارتهم البحرية وأمن سفنهم وبالتالي جعل الجزائر تحت سلطة الإسبان مقابل دفع جزية سنوية وكان هذا الاتفاق مدته 10 سنوات وفي تلك الفترة شيد الإسبان حصن البنيون ما جعل الجزائر مهددة أمنيا. وكان الإسبان يفرضون على الجزائر حصار من خلال حصن البنيون الذي بناه الإسبان من أجل بسط نفوذهم⁵.

¹ نجيب نكاني، الاحتلال الإسباني لسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائري خلال 2002، القرنين 10 و 16 م، أطروحة ماجستير، جامعة الجزائر، ص 31.

² أسماء بليلي، المرجع السابق، ص 45.

³ خديجة دويالي، الغزو الإسباني على السواحل الإسبانية مجلة القرطاس، العدد 06، ص 32.

⁴ محمد العباسي، أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج الرايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين، لمؤلف مجهول، من سنة 1512 إلى سنة 1545، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2005، ص 45.

⁵ خير الدين سعيدي، الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1518 - 1775، من خلال مخطوط: - الزهرة الثائرة، التلمساني، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة اسطنبول، ع 29، ص 94.

وفي عام 1516 استطاع عروج التصدي للهجوم الإسباني والسيطرة على ميناء الجزائر وبالتالي أصبح شوكة في حلق الإسبان يهدد حصونها في المنطقة وفي العام الموالي نجح عروج في السيطرة على تلمسان عاصمة الزيانيين، غير أن هؤلاء تعاونوا مع الإسبان خوفا من ضياع سلطتهم خاصة بعد تعاون الدولة العثمانية مع بابا عروج، وقد لبي الإسبان نداء الزيانيين حيث حوصرت تلمسان وهزم عروج سنة 1518 م¹.

6 - إخضاع مستغانم: وعلى غرار الخطر الإسباني الذي يهدد سواحل الجزائر، سعت مستغانم بفرض الولاء الإسباني بوهران، وبذلك تمكن الإسبان من الاستيلاء على سواحل الجزائر وصاروا يتحكمون في أمراء تلمسان بعد إخضاعها².

المحاضرة الثانية

التحاق الجزائر بالدولة العثمانية

تأسيس الآيالة وانعكاساتها داخليا وخارجيا:

قد مر تأسيس الآيالة بعدة مراحل واحداث انتهت بالانضمام الرسمي للدولة العلية، حيث كان لخير الدين بربروس وإخوته جهودا دامت سنوات ليكتمل التأسيس والتوجه نحو التصدي للعدوان الإسباني، مر هذا بعدة سفارات باتجاه استانبول من طرف الإخوة بربروس بغية التقرب إلى السلطان العثماني. إن الذي جعل الجزائريين يرتبطون معنويا ومصلحيا بالدولة العثمانية، هو عنف الهجمة الصليبية التي قادتها اسبانيا على منطقة المغرب في بداية القرن السادس عشر، وعجز واهتراء الكيانات السياسية المحلية التي لم تنبري للتصدي لهذا الخطر بجد وعزيمة. بل حاولت التوائم معه خدمة لمصالحها الأنانية التي فضلتها على المصلحة العامة وأمن المنطقة. لقد أصبح الخطر الإسباني جاثما على كامل منطقة المغرب على إثر سقوط مدينة المليلة بين أيديهم في عام 1447 ثم أصبح أمرا واقعا عندما قاموا بهجوم مُرَكِّز على المرسى الكبير الذي يمثل البوابة الغربية للمغرب الأوسط ومفتاح مدينة وهران والذي سقط بين أيديهم في عام 1505 ليتلوه بعد

¹ أحمد زكرياء الشلق، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة، 1516 1916، جامعة عين شمس، ط 1، 2002، ص 39.

² الوزان الفاسي حسن بن محمد، وصف إفريقيا، ج 2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983، ص 32.

سنوات قليلة احتلال مدينة وهران 1509، اهتز المغرب كله من هذه النكبة وشعرت المدن الساحلية بالخطر المحدق الذي يتهدها. وبالفعل، لقد سقطت مدينة بجاية بين أيدي الاسبان، بعد شهور قليلة من احتلال مدينة وهران 1510 م، ليتلوها سقوط طرابلس في نفس السنة. لم يؤد اندحار الاسبان في جزيرة جربة أوت 1510 م إلى التخفيف من هذا الشعور بالخطر. فمدينة الجزائر كانت في حالة خوف شديد، خاصة لما تمكن الاسبان من إقامة حصن على الصخرة الواقعة في البحر قبالتها والتي لا تبعد عنها سوى 300 م وهو ما جعل المدينة تصبح تحت رحمة مدافع هذا الحصن¹.

في ظل هذه الظروف استنجد أعيان مدينة الجزائر بعروج وإخوته لمساعدتهم على التصدي لهذا الخطر وبالفعل، لقد تمكنت مدينة الجزائر من صد حملتين عسكريتين اللتين شنتها إسبانيا لاحتلالها 1517 م و 1519 م، ولكن الخطر لا يزال يتهدها. وهو ما دفع أعيان مدينة الجزائر إلى طلب حماية السلطان العثماني سليم الأول 1519 م والتماس تعيين خير الدين أميراً عليهم².

سفارة بيري رئيس إلى استانبول:

انقضت عدة سنوات عن أول اتصال بين الإخوة بربروس والسلطان العثماني قبل الانضمام الرسمي للدولة العلية³ وتعتبر المرحلة الممتدة من 1514م إلى 1518م فترة الارهاصات الأولى لانضمام المغرب الأوسط لدولة العلية، فقد ارسل الإخوة بربروس وفدا لمقابلة السلطان سليم الأول بقيادة البحار الجغرافي التركي بيري رئيس ابن اخت كمال رئيس، الذي أرسله بيازيد لنجدة مسلمي الأندلس، ولقد كان الغرض من هذا أن يقولوا الأخوان بربروس بأنهما يكملان مهمة كمال راييس رغم أن ظروف المسلمين اليوم أكثر خطورة مما كان عليهم حينما كانوا محاصرين خلف أسوار غرناطة⁴، حيث قال

¹ جمال قنان، نظرة حول العلاقات الجزائرية الأوروبية في العصر الحديث 1500 – 1830 م، مجلة المصادر، العدد 18، ص 18.

² جمال قنان، نظرة حول العلاقات الجزائرية الأوروبية في العصر الحديث 1500 – 1830 م، المرجع السابق، ص 19.

³ محمد دراج، تأسيس الإيالة الجزائرية، مجلة العصور، ع16، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، جوان ديسمبر 2010م، ص 44.

⁴ نفسه ص 44.

خير الدين بربروس "غادر بيري رايس تونس في ستة قطع بحرية، فوصل إلى استانبول في اليوم الحادي والعشرين من خروجه رسي في الساحل مقابل اشثري بورنو (sarty borne) استقبل السلطان بيري رايس وتفضل بقراءة رسالتي بنفسه، فسر ذلك كثيرا وبما قمت به انا وأخي عروج من غزوات 1.

نلاحظ أن السفارة كانت قد تمت والاخوة مستقرين بتونس، ولم تصل بعد سيطرتهم على المغرب الأوسط، ربما باستثناء جيجل، لقد كان أول اتصال رسميا بين الاخوة بربروس والسلطان سليم الأول، وهنا نلاحظ أن الاخوة كان غرضهم أيضا الاستعانة بالسلطان من أجل مقاومة الاسبان المحتلين بسواحل البلاد 2.

تمكن الاخوة بربروس من إقامة علاقات مع الباب العالي 3 حيث نالو مباركة السلطان سليم الأول وتأييده لهم، فلقد تفضل بقراءة رسالتهم بنفسه ودعاء لهم بنصرة والتمكين، يقول خير الدين بربروس "بعد قراءة الرسالة رفع يديه بالدعاء لنا ولبحارتنا اللهم سدد رصيتها، واخذل أعدائها، وانصرها في البر والبحر" 4.

يعد قراءة السلطان سليم الأول لرسالة دليل قاطع على الأهمية والمكانة التي شغلها الاخوة عنده وعلى تتبعه اخبار هؤلاء المغامرين، فلقد احاطهم برعاية في أول فرصة تتاح لهم، وبالتالي اصلاح العلاقة التي كانت متوترة بين طرفين على اعتبار أن عروج كان يؤيد قرقود على حساب سليم الأول 5.

تخللت هذه الرسالة ارسال هدايا إلى السلطان العثماني، إضافة إلى أنه أمر بالسماح لبيري رايس برسو سفنه بالقرب من القصر. بالرغم من أنه لم تتجرأ اي سفينة على الاقتراب من الساحل المحاذي للقصر. أبدى السلطان سروره بالهدايا فوجه إليهم رسالة شكر وتقدير، ويعني هذا أنها بوادر للعلاقة الرسمية بين الطرفين فأرسل لهم الهدايا مما تمت ملاحظته

1 خير الجين بربروس : مذكرات خير الدين بربروس ، ت ر مجمد الدراج ، ط 1 ، شركة الأصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر 2010، ص 64.

2 مجهول ، نبذة عن العصر في أخبار بني نصر ، تسليم غرناطة ونزوح المسلمين الى المغرب ، ضبطه وعلق عليه ألفريد البستاني ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد مصر ، 2002 ، ص 67 .

3 نيقولاي إفانوف ، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574 م ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، 1988 م ، ص 122 .

4 محمد دراج ، مذكرات خير الدين بربروس ، دار الأصالة لنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2010 ، ص 65 .

5 عزيز سامح ألتر : الأتراك العثمانيين في افريقيا الشمالية ، ط 1 ، تر محمود علي عامر ، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت لبنان ، ص 55.

أن هذه السفارة تمت بنجاح فقد أصلحت العلاقة بين الإخوة والسلطان سليم¹، وجعلها هذا تحت حماية السلطنة العلية بالإضافة إلى أنه أصبح سند قوي للأخوة ببربروس، وكانت هذه السفارة عبارة على ضمان حماية لهم توجت بأهميتين هما: أصبحت العلاقة رسمية بين الإخوة ببربروس والدولية العلية، من خلال الحماية التي قدمها لهم.

تحول العلاقة بين السلطان الحفصي والأخوة ببربروس من دور الحليف الناصر إلى الخصم المناوئ، بحيث بدأ السلطان الحفصي يجاهر بعداوته للأخوة بدافع الخوف على عرشه. وفي ذلك يقول خير الدين " منذ هذه اللحظة تغير موقف السلطان منا، وبدأ يبيدي لنا خلاف ما يبطل ما بطن لما يجده في نفسه من حسد لقد أدرك أننا لم نعد مجرد قراصنة بئسين مجردين من أي حماية بل صرنا في خدمة وحماية السلطان العثماني المعظم، والابتعاد عنا خوفا من أن نأخذ منه مشكلة لحساب السلطان سليم. نستنتج أن الأخوة أصبحوا يدركون أن حماية السلطان زادتهم قوة وثقة بأنفسهم ولا يريدون الخضوع إلا له².

سفارة مصلح الدين فورد أوغلو رئيس :

أما عن السفارة الثانية فكانت تحت قيادة مصلح الدين فورد أغلو رئيس إلى الاسكندرية في حدود 1517 م دامت حوالي شهرين وقد وصل هذا الوفد إلى الاسكندرية فرافقه عدة قطع بحرية، تزامن هذا مع تواجد سليم الأول بالقاهرة حيث حضر له معدات وجنود تم اعادتهم إلى مدينة الجزائر كما ذكر خير الدين ذلك³.

مرحلة الانضمام الرسمي :

- قاد حسن اغا السفارة الثالثة سنة 1519 م ممثلا على سكان مدينة الجزائر الشيخ أبي عباس ابن القاضي.
- اقترح أعضاء الوفد على السلطان سليم تبعيةهم للدولة العثمانية والدخول ضمن حمايتها ويتعهدون بقراءة الخطبة باسمه لأنهم بحاجة إليه وهم مخلصون له.

¹ محمد دراج، المرجع السابق، ص 68.

² محمد دراج، المرجع نفسه، ص 69.

³ خير الدين ببربروس : المصدر السابق، ص ص 69-70.

- و ذلك بعد استشهاده عروج و مبايعة أهل المدينة خير الدين ملكا عليهم، هذا و قد صرح أنه لا يستطيع التصدي للنصارى بمفرده¹. و قد رأى كثرة الدسائس و المؤامرات التي يكونونها له زعماء المدينة المحليين في مناطق مختلفة، لذلك طلب منهم الاستنجاد بالسلطان العثماني².

استقبل الوفد من طرف سليم الأول الذي بالغ في اكرامه و بعد الكثير من المناقشات بين الطرفين وافق على طلبهم وأصدر قرار تعيين خير الدين بايلرباي على الجزائر³.

داخليا :

- القضاء على التفرقة والانقسام الذين كانا سائدين في بلاد المغرب الأوسط ، الذي تميز بكثرة الدويلات والانقسام السياسي⁴، مما سهل على الاسبان احتلالها للكثير من السواحل المغاربية عامة وسواحل المغرب الاوسط خاصة.

- ميلاد دولة جزائرية حديثة ممتدة على نفس الرقعة الجغرافية وبنفس الحدود الحالية تقريبا⁵.

- التصدي للهجمات الاسبانية على السواحل الجزائرية و العمل على تحرير العديد من السواحل مثل : صخرة البينيين 1529 م ، بجاية ، تلمسان بالإضافة الى تحرير تونس و طرابلس الغرب و التي ساهمت الايالة في تحريرها بشكل فعال⁶.

خارجيا :

- لم يكلف انضمام الجزائر للدولة العلية أي تبعات مالية أو عسكرية على اعتبار ان الاخوة لم يكونوا تابعين للدولة العثمانية بشكل رسمي لذلك هذا التأسيس يتحمل تبعاته

¹ جمال قنان ، قراءات في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1530 م ، دار الرائد لكتاب الجزائر، 1431هـ/2010م، ص 42.

² عبد الجليل التميمي ، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الأول 1519 م ، المجلة التاريخية المغاربية، خ، 6 ، جويلية 1976، ص 119.

³ اندريه ريمون ، المدن الغربية في العهد العثماني ، تر لطيف فرج ، ط1 ، دار الفكر والدراسات والنشر والتوزيع ، مصر، 1981، ص 25 .

⁴ الشافعي درويش ، علاقات الايالة الجزائرية في الغرب المتوسط مع اسبانيا خلال القرن 16 م ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ،المركز الجامعي غرداية 2010-2011، ص 49 .

⁵ محفوظ قداش ، الجزائر فالعهد التركي ، مجلة الأصالة ، ع 52 ، 1977، ص 7 .

⁶ أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر ، وعوامل انهياره ، 1800-1830 م ، ط1 ، دار الكتاب العربي ،الجزائر، 2011، ص18.

الآخوة بربروس وسكان بلاد المغرب الأوسط¹. مما لاشك فيه ان الولاية الجزائرية قد شكلت خط المواجهة الأول ضد الاحتلال الإسباني².

- لقد كان لتأسيس الولاية اثرا على المخططات الإسبانية التي كانت تهدف لاحتلال السواحل المغربية والسيطرة عليها وعلى الطرق التجارية حيث أصبحت قوة اقليمية مما ولد الرعب لديهم³.

- كما ولد تأسيس الولاية رغبة طرابلس الغرب على الانضمام الى الدولة العلية مما لاحظته من دعم منها لأهالي الجزائر فقررت بعث وفد للسلطان العثماني بغية التخلص من الاحتلال الإسباني، فاستجاب لهم السلطان وعين لهم مراد آغا واليا⁴.

نشاط خير الدين الجهادي 1519-1533:

خير الدين شخصية لامعة⁵، من أبرز شخصيات التاريخ العثماني بوصفه منظم القوة العثمانية العظيمة في القرن السادس عشر⁶ شرع خير الدين في تنظيم غاراته على سواحل وسفن إسبانيا و البندقية و فرنسا و البابا و جنوة بالإضافة إلى تعرض السفن التجارية والحربية التابعة لكافة الدول الأوروبية التي لا تربطها معاهدة سلام مع الدولة العثمانية أو غيرها من الدول الإسلامية . فمن شدة حزنه على إصابة أخيه، تجول باحثا في البحر عن سفينة للإسبان ، حتى صادفته سفينة صغيرة و قام بالقبض عليها ، ثم تابع طريقه مبحرا من تلقاء نفسه ، فهاجم منورقه التابعة لجزر الباليار ، و احتل بعض الابراج و قام بتدمير وتخریب الكثير من القرى، كما شن هجوما على أميرال ، كورسيكا استطاع بسفنه الثمانية من إلحاق الهزيمة به⁴. هذه الهزيمة قطعت على خير الدين الرجوع إلى مدينة الجزائر فذهب إلى جيجل و أرسل إلى بواخره الحربية أن توافيه بجيجل فاستقر بها لمدة

¹ محمد دراج : المرجع السابق، ص 48.

² أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا ، 1492-1792 م ، ط 1 ، دار البصائر للتوزيع

والنشر ، الجزائر 2007 ، ص 208.

³ محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي ، مكتبة دار الشروق ، بيروت لبنان ، 1969 ، ص 30.

⁴ أبي عبد الله محمد ابن خليل غلبون الطرابلسي ، تاريخ طرابلس الغرب ، المسمى التذكار في من ملك طرابلس الغرب ، وما كان بها من اخبار ، نشره وصححه وعلق عليه الظاهر احمد الزاوي ، المطبعة السلفية ، القاهرة مصر ، 1929 م ، ص 100.

⁵ أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ما بين الجزائر و إسبانيا، المرجع السابق ، ص 203.

⁶ محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، ط 1 ، دمشق ، 1969 ، ص 29.

خمس سنوات من 1520 إلى 1525 م ، إستغل هذه الفترة في تنظيم قوته العسكرية ، كما تمكن من خلال هذه الفترة الاستيلاء على مدينتي القل و عنابة ووضع بها حاميتين تدينان له¹.

في سنة 1524 م عرفت الجزائر تحولا كبيرا حيث شرع خير الدين في تحصين البلاد من غارات العدو و طرده من الجزائر نهائيا، و ما ان فرغ حتى فكر في أمر فتح حصن البينون* المقابل للجزائر الذي كان يشكل خطرا كبيرا و مباشرا على هذه المدينة². في سنة 1525 م قام خير الدين باستغلال نفقة أهالي مدينة الجزائر على ابن القاضي ، فتوجه صوب متيجة و إستطاع التغلب عليه، و دخل مدينة الجزائر ثم أخضع شرشال و قتل حسن قارة ، بذلك تمكن خير الدين من توحيد الجهة الداخلية، باستثناء بجاية و قلعة البينون³ ، بدأ خير الدين في الاستعداد لفتح هذا الحصن ثم باشر بقصفه لمدة أسبوع ، في يوم الجمعة بعد الصلاة أمر بفتح الحصن ، ركب عسكره قواربهم و هجموا عليه، حيث وجدوا فيه خمسمائة مقاتل من النصاري و من المدافع و سائر السلاح . فأمر خير الدين بتهديم الحصن لتفادي طمع الإسبان من الاستيلاء عليها مرة أخرى، مستغلا وجود الأسرى. 1528 كانت قسنطينة قد تمردت على الحامية التركية و قتلت قائده. في ماي 1529 تمكن خير الدين و رجاله من محاصرة القلعة و اقتحامها برجاله.

المحاضرة الثالثة

الحملة الاسبانية على الجزائر

1 – حملة شارل الخامس (شرلكان) 1541 م :

عندما رحل خير الدين بربروس الى استانبول عام 1535 عين خليفته حسن اغا و الذي كان يعمل على تشجيع الجهاد البحري⁴، وذلك لكونه الشخص المناسب لخلافته لإدارة شؤون البلاد ولم يكن هذا رغبة خير الدين لوحده ، بل من أمر السلطان العثماني بإرساله فرمان لخير الدين سنة 1533 م جاء فيه " رغبتني في توجيه عمل ضد اسبانيا ، ضع

¹ محمد دراج، المرجع السابق، ص 166.

* منورقة، بالإسبانية يطلق عليها -Minorca- حاليا تابعة لإسبانيا عبارة عن جزيرة في البحر الابيض المتوسط.

² محمد السعيد عقيب ، دور خير الدين بربروسا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر، المرجع السابق ، ص 294.

³ مبارك بن محمد الهلالي الميلي ، المرجع السابق، ص 55.

⁴ أحمد توفيق المنني ، المرجع السابق ، ص 242 .

مكانك رجلا جيدا وعاقلا واسرع إلينا ، وأن لم تجد من يتوفر فيه المقدرة أعلمني " ¹ . وكانت فترة حسن اغا فترة صعبة تزايدت فيها الخطر الاسباني بالخصوص بعد احتلال تونس سنة 1535 م . قام حسن اغا بالعمل على حماية السواحل و التفرغ لتجهيز الدفاع على اي هجوم ضده . بالإضافة الى أنه قام بالعمل على انتشار الامن و النظام داخل صفوف الجيش كما وضع أسس الادارة و حاول جمع أطراف البلاد حول السلطة المركزية الجزائرية ² .

فصنع 31 سفينة من نوع غليوت للإغارة على السواحل الاسبانية ، و ضرب العدو في عقر داره كما قام أيضا بتحسين المدينة تحسبا لأي عدو ، كما قام ببناء برج مكون من ثمانية اضلاع بلغ ارتفاعه عشرون متر كان يضع فيه مختلف الرافعات . كما اعاد بناء الاسوار القديمة التي انهارت من مواقع مختلفة على ساحة واسعة بعد تساقط تلك الامطار الغزيرة وقام بربط البنيان القديمة المحصنة بالأرض وثبتوا جميع المدافع على الاسوار البسيطة المنقوبة بفتحات ضيقة ويخبئ ورائها مدافع من ذات العيار الثقيل . من منشاته العمرانية ايضا برج الفنار الذي يشرف على برج مولاي حسن بالجزائر العاصمة ³ . وقد خاض حسن اغا عدة حروب ففي سنة 1520 هاجم قسنطينة واستولى عليها وذلك تطبيقا لأوامر خير الدين كما استطاع ايضا سنة 1521 بغزو مدينة القل والسيطرة عليها وانشأ بها حامية عسكرية مكونة من 2000 جندي انكشاري ⁴ . كما عمل على اخضاع مستغانم لدولته ، و عزز نفوذه جنوبا بالاستيلاء على ترابها و تقدم نحو الجنوب الشرقي وأخضع بسكرة و جعل بها حامية ⁵ .

في شهر سبتمبر 1539 م ركب حسن اغا رفقة الجيش الإسلامي وكان يشمل على 1300 رجل على متن سفينة حربية متوجها نحو بلدة مضيق جبل طارق ،كللت هاته المعركة بالنجاح ، حيث استولى على هاته البلدة وقام بالتوسع على الساحل الاسباني الجنوبي ، وخرج منها بخيرات كثيرة واسرى ، وحين رجوعه للجزائر اعترضته بحرية اسبانية

¹ عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص 100 .

² مجهول ، غزوات عروج ، المصدر السابق ، ص 115 .

³ نفسه ، ص 242 .

⁴ أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 279 .

⁵ أحمد توفيق المدني ، المرجع نفسه ، ص 161 .

تحت قيادة الأميرال بريار وحدثت معركة بينهم وكانت قاسية استطاع فيها الاسبان تحرير 700 من الاسرى ، خلفت المعركة خسائر لكليهما.

واصطدم بأكبر حملة صليبية كانت ضده قادها الامبراطور شارلكان سنة 1541م الذي كان يهدف الى احتلال مدينة الجزائر. لكن حسن اغا لم يبق مكتوف الأيادي وتصدى لذلك في حين عين رجال لحراسة الأبراج و القلاع و قام بتوزيعهم على أبواب المدينة و بقي هو بنفسه بالحصن¹، قام بأكبر معركة حقق فيها انتصار مهما ضد شارلكان عام 1541 ساعدته الظروف المناخية في تحقيق هذا الانتصار².

المفاوضات الأولى:

لقد ادى الصراع القائم بين الامبراطور الاسباني شارلكان وخير الدين بربروس الى انتهاء ج اسلوب آخر وهو اللجوء الى الطرق الدبلوماسية، بغرض اقناعه بفكرة أن المغرب الاوسط تابع الى الدولة العلية. اجريت مفاوضات بينهم ما بين 1538م-1541م و من جه ة أخرى كانت مفاوضات بين الكونت دالكوديت الذي حكم ما بين 1534م-1558م وحسن آغا³.

لقد تكلم شارلكان مع خير الدين بربروس واقترح عليه ان يكون حاكما لكل البلاد الأفريقية الواقعة بين البحر الأحمر والمحيط الأطلسي، وقطع صلته بالعثمانيين، مما سهل على شرلكان السيطرة على ايةالة الجزائر وحيث يقول خير الدين بربروس على لسان شارلكان : " ان تترك من منصبك كملك للجزائر⁴، لتكون بايا عليها وتقضي به التقاليد العثمانية يعتبر اهانة بالغة لك وها انا ذا اعرض عليك ان تتخلى على خدمة السلطان سليمان على ان اجعلك ملكا وحيدا على كل البلاد الافريقية الواقعة ما بين البحر الاحمر والمحيط الا طلسي وليكون معلوما لديك بانني لا اريد ان تكون حليفا لي، بل يكفي ان تكون صديقا لي ، وتقطع صلتك بالعثمانيين فهذا كل ما اريد " بالمقابل قام خير الدين بإبلاغ الصدر الاع

¹ عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص 159 .

² عزيز سامح التر ، المرجع نفسه ، ص 169 .

³ De Grammont : relation entre la France et la régence d'Alger au XVII siècle premier partie K les deux carence de Simon dansa (1606.1628) RAK N° 08 Alger 1879 .p 56 .

⁴ خير الدين بربروس ، المرجع السابق ، ص 193 .

ظم لطفي باشا ونذره من خديعة شارلكان ومحاولة السيطرة على الجزائر¹.
 عمل شارلكان على القيام بكل اساليب الاطاحة بخير الدين بربروس من مكر وخديعة
 ومناورات سياسية²، لقد كان أندريا دورت الوسيط في هذه المفاوضات، فاعلمه خير الدين
 ان يقوم بإرسال مبعوثا الى نائبه في الجزائر حسن آغا كانت عبارة عن مفاوضات سرية
 وصل الوفد الاسباني المكون من الونسودي الاركون و القبطان فيرغار. ومعهم ايضا
 طبيب يهودي كان رعية من رعايا الدولة العلية اسمه روميو، امر خير الدين نائبه حسن
 آغا ان يقوم بمراعاة افكار الاسبان في المقابل يكون مستعدا لأي امر يحدث³، دامت ال
 مفاوضات سنتين كان كل من خير الدين ونائبه حسن آغا يفاضون الاسبان ويقبلون هذا
 ياهم في المقابل يخبرون السلطان العثماني كافة التفاصيل⁴، لكن الاسبان لم يتفطنوا للأمم
 ر و كانوا يظنون انهم اكتسبوا ثقه خير الدين وضمه الى صفهم⁵، لم يتمكن الطرفان من
 الوصول الى نتيجة حتمية فقرر حسن آغا طرد المفاوضين الاسبان⁶.
 يعتبر اخلاص خير الدين وحسن آغا للدولة العلية من العوامل التي ساعدت في عدم نجا
 ح المفاوضات كما يرجع المؤرخين الاوروبيين الى فشل المفاوضات إلى إخبار الملك فر
 نسوا الأول بالمؤامرة للسلطان العثماني المفاوضات السرية بين الكونت دالكوديت حسن آ
 غا، حاول الكونت التفاوض مع حسن آغا وطرح عليه عدة وعود مقابل تسليم مدينة ال
 جزائر له، وذلك في حين نزول الاسبان واقامة حصار⁷، فكان حسن آغا يتظاهر بعدم الم
 بالات فالرسائل التي بينهم و استطاع خداع الكونت كما حدث مع خير الدين⁸.
 جاء في المصادر الاوروبية ان حسن آغا كان قد اخبره احد القادة الجزائريين المسمى م
 حمد وهو أحد يهود الاندلس الذين هاجروا الى الجزائر، يعلمه بالمفاوضات فادرك حسن آ

¹ عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص 156.

² Watbled Et Mameray, *Négociation Entre Chacles Quin Et khair Eddine (1538-1540)*. R.Af. Alger, 1871, N° 15, p 139.

³ خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص 194.

⁴ De Grammont, op. cit., p 57.

⁵ خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص 195.

⁶ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 35.

⁷ جون وولف، الجزائر واروبا، ت. ر. ت. ح. ع، ابو القاسم سعد الله، ط 2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص 55.

⁸ عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص 156.

غا عواقبها، و أعلن رفضه للمندوب الاسباني الدون لورينزو مانويل الاستمرار في هذه المفاوضات¹.

أسباب فشل المفاوضات :

- إخبار السلطان و الصدر الأعظم بالمفاوضات واعتباره إخلال للدولة العلية من قبل خير الدين و حسن آغا.
- خوف خير الدين من الانقلاب الذي يحدث داخل الايالة من قبل الجزائريين و ذلك لكرهم للإسبان فرفض هذا التقارب .
- تأكد الإسبان من العلاقة الدولية التي تربط خير الدين بالسلطان².
- لم تلق هذه المفاوضات نجاحا إلا أننا نعتبرها مظهر من مظاهر العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر و اسبانيا .

أسباب شن الحملة على الجزائر:

- رغبتهم في الانتقام للإسبان و المسيحيين بعد الهزيمة الكبرى التي ألحقها خير الدين في معركة broza بروزة سنة 1538.
- تركيزهم على الوقت المناسب لذهاب خير الدين ببروس الى القسطنطينية حينما استدعاه سليمان القانوني لقيادة الأسطول العثماني. ظنا من شارلكان ان غيابه سيضعف الايالة³.
- زيادة الهجومات و الغارات التي يقودها حسن آغا على السواحل الاسبانية التي تضررت فأراد شارلكان أن يقوم بالحد من هذه الهجمات و إيقافها⁴.
- عدم نجاح المفاوضات السرية التي كانت قد تمت بين شارلكان من جهة و حسن آغا من جهة أخرى و التي كان الهدف منها السيطرة على بلاد المغرب⁵.

¹ Borbrougger (A) : Négativation Entre Hassan Aga Et Le Comte D'alcondette ,
Gouverneur D'Oran,(1541-1542), R.Af.N°09 , Alger , p 380.
¹ WatBled Et Mamerau , Négociation Entre Charcles Quin et khair Eddine (1538-
1540).R.Af. Alger ,1871 ,N° 15,p 145.

³ أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص 251 .

⁴ مجهول ، المرجع السابق ، ص 211 .

⁵ مبارك محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، الجزء الثالث مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ص 64.

- بالإضافة الى هجوم حسن اغا على جبل طارق و استولى على قلعتها و جعل منها قاعدة للإغارة على الاسبان¹.
- كما كان لمعاهدة نيس 1538 م أثرا على تقدم شركان نحو ايةالة الجزائر ،وذلك كون أن فرنسوا كان يحقد على شركان منذ زمن ، منذ كان أسيرا لديه فقرر التحالف مع السلطان العثماني ولم يكن هذا الأمر سرىا².
- كما انشغل خير الدين بربوس بحملة نحو ايطاليا بهدف الاستلاء على جزر البحر الأيوني، حيث تحالف الاسبان مع البنادقة للقضاء على الحملة وكانت المواجهة في بريفيزا أنتصر فيها العثمانيون³.
- سير الحملة :** في يوم 18 أكتوبر 1541 خرج شارلكان على رأس هذه الحملة من مرسى ماهون⁴. و في اليوم الموالي بدأ يلوح الأسطول الاسباني في أفق مدينة الجزائر⁵. و كان هناك جنود متواجدة في البحر لكن الخليفة لم يترك مواطنيه يستسلمون لليأس حيث قام بجمع كل الرجال و توزيع الجيوش على الأساور و في المواقع المحصنة⁶. لما اقتربت القوات الاسبانية من شواطئ البحر كانت تحتوي على خمسمائة و ستة عشرة باخرة شراعية من بينها خمسة و ستون باخرة كبيرة كان يسيرها العبيد بتجذيفهم المتواصل و كانت البواخر تحمل على متنها 12330 بحريا و 23900 جنديا⁷.
- تمركز الضباط و الملازمون التابعون لحسن اغا في مواقع رئيسية : حيث دافع حاج مامي عن باب عزون . بينما كان القائد يوسف بمساعدة ثلاث ضباط هم : سافير , أرسلان , و رمضان كانوا مكلفون بباب الواد . و كانت هناك مجموعة متكونة من ضباط البحرية بقيادة كوتسوك علي و هيديرا خيدر القائد الأعلى العام للبحرية يقومون بحراسة باب

¹ مذكرات خير الدين بربروس ، المصدر السابق ، ص 193 .

² بسام العسلي ، المرجع السابق ، ص 145.

³ خير الدين بربروس ، المرجع السابق ، ص 181-184 .

⁴ يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوروبا (1500-1830)، ص 46.

⁵ صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق ، ص 67 .

⁶ كوربين شوفالبيه ، الثلاثون سنة الاولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541م ، تر جمال حمادنة، ديوان

المطبوعات الجامعية، 2000، ص 91 .

⁷ مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص 65.

البحرية. و أخيرا القائد حسن اغا كان يحتفظ بالقلعة المتواجدة بالقرب من باب الواد لأنه بإمكان المدافع أن تضرب في البحر و البر لذلك قرر أن يدافع عنها¹.
 في يوم 20 أكتوبر استعرض الأسطول الاسباني وحداته البحرية أمام الجزائر و كان² البحر هائجا و خصوصا بعد الظهر مما اضطر الأسطول الاحتماء برأس ماتيفو .
 وكان على ظهر الباخرة الامبراطورية يمكننا أن نميز من بين الجنود النظاميين و المدافع هناك عدد كبيرة من النساء قادمين من اسبانيا الى هنا. و فجأة خلال عملية التحرك سقطت مقصورة من الباخرة في البحر حيث فسر ها سكان مدينة الجزائر بأنها فال حسن "بشير"، مما أعادت الثقة الى نفوسهم و عرفوا بأنهم سينتصرون على عدوهم، في 21 أكتوبر بلغ خليج المدينة لينزل الجحافل التي كانت على متنه في الضفة اليسرى من وادي الحراش .
 بعد عملية الانزال مباشرة أوفد الامبراطور مبعوثه دون لورانزو مانويل الى حسن اغا يعرض عليه مكافأة كبيرة له ولزملائه مقابل التخلي على المدينة الا ان حسن اغا رفض ذلك و لا يقبل النصيحة من أعدائه.

و استمرت العاصفة كامل يوم الجمعة 21 أكتوبر و يوم السبت 22 أكتوبر. مع طلوع شمس يوم الأحد 23 اكتوبر بدأت القوات الاسبانية في النزول على الضفة اليسرى من واد الحراش³. و بدأت الفرسان تنزل من كل مرتفعات الساحل على الشاطئ و كانوا يحاولون اعتراض عملية تحريك الباخرة و ارسائها لكن بنادقهم و سهامهم لم تكن كافية للصد الذي تطلقه مدافع السفن مما ألزمه ذلك بالانسحاب تاركين هذه الحملة⁴.
 فنزل شارل كان بنفسه في حدود الساعة التاسعة و قام بتقسيم قواته الى ثلاث فرق و نصب معسكره في الحامة . و في الليل هجم الجزائريون على الفرق الاسبانية بقيادة الحاج بشار ولم يتركوا المعتمدين يتمتعون بطعم النوم⁵.

في صباح 24 أكتوبر كان الجيش المسيحي مستعد لبدء عملياته. و لكن عاصفة شديدة هبت حوالي الساعة التاسعة ليلا سرعان ما اضطربت السفن الراسية بعيدا عن الشاطئ ,



¹ كوربين شوفالبيه، المرجع السابق، ص 92 .

² مبارك بن محمد الهلالي الميلي ، المرجع السابق ، ص 65 .

³ صالح عباد ، المرجع السابق، ص 67 .

⁴ كوربين شوفالبيه : المرجع السابق، ص 93.

⁵ مبارك بن محمد الهلالي الميلي ، المرجع السابق، ص 65 .

فالكثير من السفن المسيحية قد قطعت حبالها و ارتطمت بالصخور مع كل ما فيها من المؤونة و الذخيرة الحربية فأغلب الأسطول قد تحطم أما الجنود الذين لم يكونوا مستعدين لمثل هذه العاصفة فقد تبللوا من المطر وابتل بارودهم و انهارت معنوياتهم¹. فاستغل حسن أغا و جنوده و سكان المدينة جميعهم هذه القوى الطبيعية غير المنتظرة ، واستبسلوا في الدفاع أولا و الهجوم ثانيا . فاضطر دوريا أن ينسحب بما معه من المراكب والجنود الى رأس مانيفو و أصر على شارلكان أن يلحقه الى هناك² . فانقسم الجيش الى ثلاثة أقسام و اتجهوا صوب مدينة الجزائر في مقدمة الجيش كانوا الجنود الاسبان بقيادة فيرناند دي قونزاغ أما شارلكان تولى قيادة القلب الذي كان يتشكل من الجنود الألمان أما القسم الأخير كان يتشكل من فرسان مالطا و الايطاليون بقيادة كراميل كولونا³.

واصل شارلكان في تقدمه و استمر المجاهدون في الاغارة على القوات الاسبانية فوصلت الى كدية الصابون حيث استطاع الامبراطور فيما بعد من احتلال الكدية و قام بوضع جميع عتاده الثقيل فيها و أصبحت قاعدة للهجوم فقام بتوسيعها و احتل مجموعة من التلال المتواجدة بين كدية الصابون و قنطرة العفرون . بذلك صارت الجزائر محصورة ومعزولة برا و بحرا⁴.

ليل 24 أكتوبر كانت قوات شارلكان معسكرة أمام مدينة الجزائر حينها أتت رياح قوية من الشمال الغربي، و بدأت تتهاطل الأمطار بغزارة و يجب أن لا ننسى بأن القوات الاسبانية كانت منهكة فبدأ أسطولهم ينهار أمام هول العاصفة هذا ما أثر على قوتهم المعنوية فانتابهم القلق وكانوا لا يملكون من المؤونة الا ما يكفيهم ثلاثة أيام و قد مضى منها يومان⁵ .

في يوم 25 أكتوبر تحرك الجيش لمحاصرة المدينة في قمم المرتفعات . فالإمبراطور قرر الاستقرار بكدية الصابون برفقة الألمان، بينما الايطاليون توزعوا حول المدينة من أسفل

¹ جون. ب. وولف ، الجزائر و أوروبا 1500-1830م، المرجع السابق، ص ص 57- 58 .

² يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص46.

³ مبارك محمد الهلالي الميلي ، المرجع السابق، ص 65 .

⁴ بسم العسلي ، " خير الدين بربروس " والجهاد في البحر " ، المرجع السابق، ص 152 .

⁵ مبارك بن محمد بن الهلالي الميلي ، المرجع السابق، ص ص 66- 67 .

المرتفعات الى غاية تافورة كذلك الاسبان انتشروا حولها الى غاية باب الواد . فاحضر شارلكان معه مدفعية و قام بإنزالها و أعطى أمر الى سفنه بالتقدم الى الميناء لقصف المدينة من البر و البحر¹.

كان هذا اليوم نصر حاسم بالنسبة للقوات البحرية الجزائرية حيث أن العواصف قامت بتمزيق الاسطول البحري الاسباني و أدت الأمواج الى ضرب قطع الاسطول ببعضها البعض نتج عن هذا كارثة بالأسطول الصليبي حيث تحطمت مئة و خمسون سفينة². وخسرت أهم ما تملك من عتاد و مدفعية و ذخيرة . و انتشرت بقايا البواخر و جثث الجنود على طول الشاطئ من دلس الى شرشال . فلم يتبق للقوات الاسبانية شيء للصمود أمام هذه العاصفة³.

في اليوم الموالي 26 أكتوبر وصلت رسالة من اندريا دوريا الى الامبراطور فسر له فيها ما قام به من سهر و يقظة من أجل انقاذ الجيش⁴. في يوم 27 أكتوبر وصلت قوات شارلكان الى نهر الحراش و لم تستطع العبور على هذا الوادي الذي تحول الى نهر عنيف التيار بعد تهطل تلك الأمطار فأنشأت قنطرة مصنوعة من أخشاب البواخر المحطمة⁵.

في اليوم الموالي 28 أكتوبر بدأ الامبراطور باستخراج بقايا القوارب و البواخر من أجل اعادة بنائها حتى يستعملها الجيش في عبور النهر حينها هاجمهم من الجهة الاخرى الفرسان العرب و قاموا بقتل عدد كبير منهم و لم يتوقف القتال الا بوصول جيش شارل الخامس من تامنفوست⁶. في 1 نوفمبر شرعت قوات العدوان بالتراجع و لاستمرار العاصفة اضطروا الى الاحتماء بميناء بجاية فانقطع عنهم خط التموين فأصيبوا بالمجاعة يقول ديغرامون : " أن أحمد بن القاضي هو الذي يمون قوات شارلكان و ذلك مقابل

¹ صالح عباد ، المرجع السابق، ص 67 .

² بسام العسلي ، المرجع السابق، ص 156 .

³ مبارك بن محمد بن الهلالي الملي، المرجع السابق، ص 67.

⁴ كوربين شوفالييه، المرجع السابق، ص 97.

⁵ مبارك محمد الهلالي الملي ، المرجع السابق ، ص 68.

⁶ كوربين شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 98.

أموال ضخمة"، في 01 ديسمبر وصل شارل الخامس الى قرطاجنة الواقعة على شواطئ اسبانيا¹.

نتائج الحملة : قاد الامبراطور شارل الخامس بحملة صليبية ضخمة ضد الجزائر الا ان القوات البحرية الجزائرية بقيادة حسن اغا تصدت الى ذلك و باءت حملته بالفشل و هذا ما انعكس على العالم المسيحي عامة و على الامبراطور خاصة مما نجم عن هذا خسائر مادية و أخرى بشرية.

- خسارة العتاد الحربي من مدفعية ثقيلة و الات الحصار و الزاد و الخيل كما فقدوا ستة عشر مركبة من نوع غليوت و 140 سفينة ناقلة للجنود² . و بلغ عدد المدافع التي تركها الاسبان حوالي 200 مدفع حيث استولى المسلمون على نصفها و استعملوها في تزيين الحصون الحربية و كافة أسوار المدينة.

- كما أغرقت له العواصف المراكب و الجنود حيث خسر حوالي 200 مركبا³. كانت ضربة قاضية للنفوذ الاسباني في غرب البحر الابيض المتوسط , كما تعتبر حملته الاخيرة ضد السواحل الجزائرية⁴.

- كما خسر الامبراطور شارلكان 11 سفينة من أسطول له و الأموال التي كانت معه و قام البحر بابتلاع سفينة فاتح المكسيك ارنان كورتيس التي كانت تحمل الذهب والتحف الثمينة⁵.

عندما انهزم الإسبانيون و غادروا الجزائر و اعتدل الجو قام الجزائريون بإخراج تلك السفن العالقة في البحر المتوسط و استولوا على الذخيرة و الأسلحة . كما استطاعوا من انزال خمس سفن الى البحر التي كانت مرمية على الشاطئ⁶.

¹ مبارك بن محمد الهلالي الملي ، المرجع السابق ، ص 68.

² غليوت : عبارة عن نوع من السفن الحربية التي كانت تستعمل في ذلك العصر , من مميزاتها مديبة الطرفين .

أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص 297 .

³ يحي بوعزيز : مرجع سابق ، المرجع السابق ، ص ص 46-47 .

⁴ محمد دراج : مرجع سابق ، المرجع السابق ، ص 319.

⁵ صالح حيمر: المرجع السابق ، ص 102.

⁶ كوربين شوفالييه : المرجع السابق ، ص 99 .

- استرجعوا 60 مدفع من بينها 20 مدفعا كبير الحجم و استخرجوا أيضا 150 قطعة مدفعية مصنوعة من البرونز و تم اعادة تصليحها.¹
أما الخسائر البشرية التي خلفتها حملة شارل كان تاركة وراءها الاف من القتلى و الجرحى².

و لقد اختلفت الاحصائيات حسب تقدير المؤرخين فقد خسر الاسبان ما بين خمسة عشر ألفا الثمانية عشر ألف قتيل منهم ألفين جندي قتلوا أثناء تراجعهم³. ان المصادر الغربية لم تصرح عن هذه الخسائر الا أعدادا ضئيلة مثل ديغرمون لكن مقابل ذلك قامت المصادر الاسلامية بالمبالغة في ذلك و ذلك حسب ما ورد في كتاب الغزوات⁴.
شهدت جميع أنحاء الجزائر فرحة كبيرة بهذا النصر⁵، حيث سمع السلطان العثماني بهذا الخبر فأرسل أمر بأن يصبح حسن أغا بايلباي على الايالة الجزائرية⁶. مما أكسبه هذا الانتصار قوة وهبة فهو منقذ الجزائر من الانهيار أمام الكفار هذا ما جعل المؤرخ الانجليزي ويليام سبنسر يقول: " لقد أكسبه الانتصار المكانة القريبة الولي الصالح لدى المؤمنين "⁷. صارت السفن العثمانية تتجول في السواحل الشمالية للحوض الغربي المتوسط و تشكل خطرا على المسيحيين بعد هذه الهزيمة الشنعاء رحل من ليفورنو طولون الى نيس.

ان فشل هذه الحملة كان لها تأثيرا معنويا كبيرا على شارل الخامس مما أفقدته الثقة بالنفس الذي كان يسمى الحفيد المباشر لايزابيلا و فيرناندو الكاثوليكين. بعد هذه الهزيمة لم يعد الى اسبانيا ذهب الى ايطاليا و أرسل سلسلة من الذهب كهدية الى الهجاء الايطالي الشهير اريتان⁸. فخسارته جعلته لم يعد يفكر أبدا في الهجوم على الجزائر. بعد هذا الانكسار

¹ صالح حيمر ، المرجع السابق ، ص 102 .

² مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية و هيبته العالمية قبل 1830 ، ص 142.

³ نجيب دكاني ، الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائري خلال القرن 10 هـ - 16 م ، ص 109.

⁴ مؤلف مجهول ، غزوات عروج.... ، المرجع السابق، ص 121.

⁵ عائشة غطاس وأخريات ، الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها، المرجع السابق ، ص 32.

⁶ مؤلف مجهول ، المرجع السابق، ص 122.

⁷ ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، المرجع السابق ، ص 50.

⁸ مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع نفسه، ص 143.

الذي شهده العالم المسيحي ساهم في فقدان إسبانيا مكانتها الدولية في حوض البحر الأبيض المتوسط وبرزت الجزائر كحصن منيع للجهاد الإسلامي¹. استمرار الجهود المبذولة لتحرير المدن والموانئ المحتلة: من بين هذه المحاولات نذكر:

حملة صالح رايس 1555:

طلب صالح رايس القادة الأهالي للمشاركة في الحملة ضد الإسبان، جمع أكثر من 30 ألف رجل من الخيالة والمشاة². بعد وضع خطة لمهاجمة بجاية، تحرك من مدينة الجزائر في جوان 1555 متجها لبجاية برا، على رأس قوات تركية، وعدد من جنود سلطان كوكو، كما أرسل بحرا عددا من بواخره تحمل المدافع. ونتيجة ارتفاع منسوب مياه الأمطار المتساقطة، تمكن الأسطول الجزائري من تفريغ حمولته دون عناء، عندما توغل عبر وادي الصومام، وفي 16 سبتمبر 1555 بدأ الجزائريون في قصف القلعة بشدة، وبعد يومين من القصف تم تدمير حصن القصر الإمبراطوري مما اضطر بهم إلى إخلائه³.

ثم سقطت القصبية في اليوم السادس ولم يجد الإسبان حلا غير الاستسلام بعد أن فقدت ثلاث أرباع قواتها، وفي الثامن والعشرين سبتمبر دخل الجزائريون بجاية واستعادوها نهائيا⁴.

جهود مصطفى بوشلاغم :

أعطى بوشلاغم اهتماما بالغاً بشأن وهران والمرسى الكبير، حيث وجد في الداوي محمد بكداش بالجزائر العاصمة أفضل معين ومساعد بخصوص هذه المسألة⁵، اتخذ بوشلاغم موقفا يساعده على شن الهجمات ضد جميع الأطراف، سعى أول الأمر لإخضاع قبيلة بني عامر والقبائل المجاورة لحكمه⁶. حيث كان باي الغرب، الشجاع بوشلاغم مركزا في

¹ بن أبي زيان اشنهو ، "دخول الأتراك العثمانيين" القراصنة ، الأساطير ، الواقع "، المرجع السابق ، ص 219.

² صالح عباد، المرجع السابق، ص 78.

³ صالح حيمر، المرجع السابق، ص ص 124-126.

⁴ مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص 8.

⁵ يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، ص 5.

⁶ عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 458.

مناوشة الإسبان، مصمما على استرجاع وهران منهم، ونظرا لما اعتزم القيام به، وجد من الخرناجي وزيره وصهره السيد أوزن حسن خير المعين على تنفيذ ذلك. أرسل الباشا محمد بكداش جيشا جزائريا مكونا من ثمانية آلاف وخمسمائة رجل مع كثير من السلاح ومدفعية ضخمة وكميات كبيرة من البارود، لتحتيط الأسوار، التم شمل المجاهدين أوائل شير سبتمبر 1707 وبدأوا منزلة وهران والتضييق عليها².

في بداية الأمر قاموا بمحاولة هدم مجاز الماء الذي يأتي من الخارج إلى وهران و هاجموا برج العيون واقتحموا وغلبوا أهمها عليها وتمكنوا من احتلالها بعد معركة عنيفة، كما انتصروا في استعادة برج مرجاج، وبرج بن زهو، والبرج الجديد، والبدر الأحمر، كما استسلم البرج الجديد، وفي 16 أفريل 1708 اقتحموا المدينة وتمكن المسلمون من القضاء على آخر مقاومة فاستسلمت لهم المدينة³.

غرم الأتراك كل ما وجدوه في المدينة والمرسى، كما وقع نهب الأهالي الذين كانوا يقفون إلى جانب الإسبان وأصبح هؤلاء موضوع تجارة بأمر من الداوي محمد بكداش. بعد انتزاع وهران، اتخذها الباي بوشلاغم مقرا لحكمه، ونظم الشعراء قصائد طوال يمدحون فيها الداوي "محمد بكداش"³.

العلاقات الجزائرية الاسبانية بعد التحرير الاول لوهـران والمرسى الكبير:

لقد شهدت الجزائر خلال القرن الثامن عشر العديد من الحملات الاسبانية على الجزائر، اختلفت من حيث الأسباب ودرجة التأثير من حملة لأخرى إلا أنها اشتركت في هدف واحد ألا وهو حملة دي مونتار 1732 ، واسترداد وهران والمرسى الكبير، إلا أن أطماعهم لم تنتهي بل حاولوا جاهددين القضاء على الجزائر فشنوا ثلاث حملات عسكرية المتمثلة في حملة أوريلي وحملت أنطونيو بارسيلو.

2 - حملة دي منتريا 1732:

دوافع الحملة:

¹ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792 ، المرجع السابق، ص 45 .

² أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، 1492 - 1792 ، المرجع نفسه ، ص ص 464 .457

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص 151.

كان لاسترجاع الجزائر بين وهران والمرسى الكبير صدى عظيما قاسيا على اسبانيا والبلاد المسيحية كليا، حيث اعتبروا هذا الحدث نكبة مسيحية عامة، وبدأ الإسبان يفكرون في استرجاع المدينتين وأخذوا يستعدون لذلك ، وفي سنة 1732 اعتلى عرش اسبانيا فيلب الخامس من أسرة بوربون الفرنسية، ووضع نصب عينيه مسح الهزيمة فجهز حملة عسكرية ضخمة¹.

الاستعدادات الاسبانية لإنجاح الحملة:

وفي يوم 06 جوان 1732 م، 1445 هـ، نشر ملك اسبانيا البيان الذي عبر فيه عن نيته للاستعداد لإعادة احتلال وهران والمرسى الكبير ، وبعد أيام معدودة من اعلان هذا البيان كان الأسطول الاسباني مستعدا للانطلاق².

كان إلى جانب الكونت دي موتيمار جيشا ضم ثلاثين ألفا من الرجال والفرسان بالإضافة إلى عدد كبير من السفن المختلفة شكلا ونوعا، كما أقيمت صلوات عامة تقربا وابتهاالا إلى الله.

وتحسبا للمقاومة القوية من طرف الجزائريين أفق الاسبان حملتهم بمستشفى يتسع لألف مصاب أو جريح، وكل ما يلزم الحملة من مؤن وذخائر³.

انطلاق الحملة الاسبانية:

أبحر الأسطول الاسباني من أليقنت ونزل بالأندلسيات،⁴ وفي طريقهم تعرضوا إلى رياح قوية عرقلت وصولهم إلى السواحل الجزائرية إلى أواخر جوان، وفي 28 جوان رست السفن الاسبانية في الخليج الواقع بالقرب من رأس فالكون⁵.

استعداد الجزائر لصد الحملة:

وكان الجيش العثماني يتراوح ما بين 10 إلى 12 ألف جندي من المشاة والفرسان،

¹ محمد غانم، تحرير وهران في 27 فبراير 1792 ، الحدث والرمز، انسانيات، 2018، ص 06 .

² كاميلية دغموش، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية 1792 1509 ، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2013، 2014، ص 143 .

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص 156 .

⁴ ميلود قاسم نايت بمقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيمنتها العالمية قبل سنة 1830 ، ج 1، دار الأمة، الجزائر، 2007 ، ص 148.

⁵ كاميلية دغموش، المرجع السابق، ص 14.

ومن بينهم الأهالي، وكان فاتح وهران وأميرها منذ سنة 1708 م مصطفى بوشلاغم يستعد للدفاع عنها، حيث كانت وهران مسلحة بما يزيد عن 138 مدفعا منها 87 مدفعا من البرونز.

سير الحملة ومجرياتها:

اختار الأسبان منطقة عين الترك غرب وهران لنزول والزحف برا لأن التحصينات والقوة العربية كانت ضعيفة، حيث لا يوجد إلا عدد قليل من القوات الجزائرية، ووقعت المعارك ما بين عين الترك و وهران¹.

وفي 30 جوان أنزلت المدفعية والذخيرة بالقرب من المرسى الكبير، وفي هذه الأثناء أخبر القنصل الفرنسي عن طريق شخص يوناني الإسبان بأن الباي مصطفى قد غادر وهران في الليلة السابقة، وفي الفاتح من شهر جويلية سار الكونت مونتيمار إليها ودخلها ولم يجد فيها سوى خمس شيوخ، لم يتمكنوا من الفرار وفي اليوم الموالي استسلمت الحامية التركية في المرسى الكبير، وكانت تتكون من سبعة وتسعين انكشاريا ولم يفقد الإسبان في حملتهم سوى ثمانية وخمسين قتيلًا وخمسة وثمانين جريحًا².

ووقعت العديد من المواجهات الجزائرية الأسبانية، ونتيجة عدم تكافؤ القوى، وتأخر وصول الدعم من الجزائر، اضطر الباي بوشلاغم، إلى اخلائهما من السكان والجنود الذين لم يأخذوا معهم سوى الأسلحة الخفيفة، وحسب التقارير أن الإسبان وجدوا بها 138 قطعة مدفعية، ومن بينها 87 قطعة من النحاس، وقد كان ذلك في شهر جويلية³. وما كاد خبر سقوط المدينة يصل إلى الجزائر حتى عمت موجة من الحزن والأسى، وامتنع الداوي عبيد باشا الذي كبر في السن عن الأكل حزنا وغما، إلى أن توفي وكان عمره 88 سنة⁴.

¹ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة...، المرجع السابق، ص 47.

² كاميلية دغموش، المرجع السابق، ص 144.

³ عبد القادر فكايير، الغزو الإسباني، المرجع السابق، ص 48.

⁴ ج.أ.و. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أ. و هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145 هـ، 1732 م، تر ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص 44.

أعاد الإسبان إحتلال وهران من جديد سنة 1732 م ، وفي سنة 1733 ، وقع هجوم ضد الإسبان تمخض عنه خسائر كبيرة للإسبان وقتل قائدهم، وفي سنة 1734 م كذلك هجم بوشلاغم على مركز العيون حول وهران لكن لم يتمكن من احتلاله¹.

3- حملة الكونت أوريلي 1775 م :

سعت إسبانيا لاسترجاع مكانتها في حوض البحر المتوسط ومحاولة حماية سفنها التجارية وسواحلها حيث شنت حممة قادها الكونت أوريلي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

أسباب الحملة: ومن اسباب هذه الحملة نذكر:

- إعادة احتلال وهران: إذ استطاع الإسبان بواسطة تجهيزاتهم السيطرة على وهران حيث أصبحت ممر الكثير من السفن الإسبانية تمر عبر وهران حيث أصبحت هذه الأخيرة رابط بين مالطة ونابولي.

- إسقاط الداوي عثمان باشا من الحكم: حيث أدرك الإسبان أن الداوي محمد بن عثمان باشا ومساهماته جعلت إيالة الجزائر تمر بأزهى عصورها لذلك عمل الإسبان على إسقاطه من سدة الحكم وتعطيل مشاريعه داخليا وخارجيا.

- السيطرة على مدينة الجزائر: فقد الإسبان عمى الجزائريين لاستتجادهم بالإخوة بربروس كذلك هزيمتهم في معركة شاركان عام 1541 م جعلهم يقررون السيطرة عمليا باعتبارها مركز الإيالة، وهو حلم متجذر في قلوب الإسبانين والذي فشل في تحقيقه اسلافهم خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر فأخذت تخطط للسيطرة على الجزائر نهائيا².

- حماية إسبانيا لسمعتها وسواحلها من هجمات الجزائريين.

- فشل مساعي الصلح بين الطرفين: حيث سعت إسبانيا لتحقيق الصلح بينهما

¹ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة...، المرجع السابق، ص 481.

² الطاهر تومي، حملة الكونت أوريلي على مدينة الجزائر سنة 1775 ، الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، ع 13- 14 ، ص ص 256 - 257.

وبين الجزائر لفترة معينة حيث أرسل الملك كارلوس الثالث مبعوثا عن الداوي علي باشا من أجل الصلح لكن قوبل رفض ولم يياس الإسبان وأعاد الكرة في عيد الداوي محمد بن عثمان باشا، عندما استلم منصبه عام 1766 م لكنه رفض هذا الصلح كسالفه، قائلا للملك الإسباني: "إنني لا أخاف من القوات الإسبانية، وإن السلاح هو الفاصل بيننا".

فلجأ كارلوس الثالث إلى وساطة السلطان المغربي محمد بن عبد الله لإنجاح الصلح بين البلدين، غير أن داوي الجزائر بقي متشبث بفكرة عدم الصلح مع إسبانيا ما لم تتخلي عن وهران والمرسى الكبير، مما جعل الإسبان يتأكد من أن العمل المسلح هو الحل لإخضاع مدينة الجزائر.

- إطلاق سراح الأسرى المسيحيين: ازدهر الجهاد البحري في القرن السابع عشر، مما نتج عنه تجمع كثير للأسرى الأوربيين بالجزائر بسبب هجمات الجزائريين على جنوب غرب أوربا للانتقام من إسبانيا ففكرت هذه الأخيرة في مهاجمة الجزائر لإطلاق أسراها.

- استقرار الأوضاع في إسبانيا وأوروبا: حيث كانت تعيش في الفترة الممتدة من سنة 1732 إلى 1775 سلسلة من الحروب، بعد هدوء الأوضاع فكرت في احتلال الجزائر¹.

الاستعداد لحملة أوريلي:

استعداد إسبانيا:

عهد الملك كارلوس الثالث قيادة هذه الحملة إلى الإيرلندي الكونت أوريمو، الذي جهز حملة التي ضمت وحدات المشاة التي تتألف من حوالي عشرين ألف رجل²، و 500 سفينة حربية مجهزة تجهيزا حديثا، حيث بلغ عدد البحارة حوالي 3500 بحار، وحوالي 800 فارس، و 900 من رجال المدفعية مع مدافعهم³.

كما أصدر الملك كارلوس الثالث أمرا إلى جميع موشات إسبانيا، قرطاجة، برشلونة بالتحضير الجيد لهذه الحملة القوية من العتاد ومؤونة والآليات الضرورية حيث تواصلت

¹ الطاهر تومي، حملة الكونت أوريلي على مدينة الجزائر سنة 1775 ، ص ص 258 - 259.

² جون ب وولف، المرجع السابق، ص 40 .

³ صباح نوري هادي العبيدي، معاهدة 1786 محاولة لتهذبة الصراع بين إسبانيا والجزائر، مج 3، مجلة الملوية لدراسات الاستشارية والتاريخية، جامعة ديالي، ع 6، ص 2.

هذه التجهيزات طيلة شهر جوان من سنة 1775 م كما هيز الاسبان حوالي 50 باخرة حربية، و 7 مراكب من نوع شباك، حيث استندت قيادة الجيش البحري لمبيدو كاسيتيخون¹. وفي يوم 22 جوان 1775 تجمع اسطول في قرطاجنة، حيث أقيمت الصلوات في كنيسة سان فرانسوا تدعوا ربهم لإنجاح الحملة².
استعداد الجزائر:

استعد الجزائريون بقيادة الداوي محمد بن عثمان باشا، لمواجهة الحملة الصليبية الاسبانية بعد علمهم بها، حيث نظم قوة عسكرية ضمت حوالي 1897 مجند موزعين على 424 فوج، مقسمين ب 8 ثكنات عسكرية³، كما قام محمد بن عثمان باشا بتكليف الصبيان من تجاوز عمرهم سبع سنوات لمساعدة المجاهدين لأعمال الدفاع والتحصيل، وقد وزعت قوات الجيش الجزائري على النحو التالي⁴:

- باي قسنطينة: يعسكر بقوة تعدادها 40 ألف رجل.
- باي معسكر: يربط بقوة تتراوح ما بين ثلاثين الى اربعين ألف رجل " ارزيو"
- آغا الجزائر: يربط عند باب عزون بحوالي 2000 جندي من الأتراك⁵.
- باي التيطري: خيم على جهة تامنغوس ومعه بعض القبائل وفرسان البساو.
- كما رابط الباوي ابراهيم في مستغانم لردع القوات الاسبانية في وهران والمرسى الكبير.

- استقرار آغا العرب في واد خينيس، وكذلك مصطفى خوجة الذي رابط في باب الواد وبوزريعة رفقة الجيش الانكشاري⁶.
- كما تصدى لهذه الحملة " صالح باي " باي الشرف الجزائري، فيه من رجال

¹ الطاهر تومي، حملة الكونت أوريلي على مدينة الجزائر سنة 1775، ص ص 260.

² صالح عباد، المرجع السابق، ص 169.

³ طاهر التومي، المرجع السابق، ص 261.

⁴ بسام العسلي، الجزائر والحملات، المرجع السابق، ص 143.

⁵ جمال فنان، نصوص ووثائق في التاريخ الجزائر الحديث 1500 - 1830، دار الرائد الجزائر، 2010، ص 256.

⁶ صالح عباد، المرجع السابق، ص 169.

الجزائر إذ كان له صدق كبير في صد حملة أوريلي واستقرار الوضع السياسي بالجزائر¹.

سير الحملة ومجرياتها:

وفي أواخر جويلية 1775 خرجت الحملة من اسبانيا لتصل في 31 من نفس الشهر الى مياه المدينة، ونزلت القوات الاسبانية غرب واد الحراش لتبدأ في قذف المدينة صباح أول أوت².

نزل في شرق المدينة حوالي ثمان مائة جندي اسباني، وكان المقاتلون على أهبة الاستعداد وتوجهوا نحو الحراش وهي الربط وكان هذا الموقع في صالح الجزائريين، حيث توغل الجنود تحت قيادة الخليفة محمد باي الغرب داخل صفوف الاسبانيين، فمات منهم العديد من المهاجمين في هذه المحاولة، ليهاجم صالح باي من الطرف الآخر³، وخلال فترة لا تقل عن خمس ساعات ودخلت الفوضى وسط صفوف الإسبانيين حيث فقدت حوالي 80 ضابط و 2088 جندي، حيث كانت المعركة منذ هجومها الأول لصالح الأتراك⁴، إذ تجمع المحاربون من كل الأطراف وعملوا على تقوية الات الدفاع، حيث أرقق الاسبان وقرروا الانسحاب من المعركة الى سفنهم مهزومين على سواحل الحامة والحراش شرق مدينة الجزائر⁵.

4- حملة الدون أنطونيو الأولى 1783:

الظروف قبيل الحملة :

حاول الاسبان عرقلة نشاط القرصنة الذي يقف ضد المصالح الاسبانية ومحاصرة

¹ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجبالي بن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين اغارت عليها جنود الكفرة، تع، خير الدين سعيدي، أوراق ثقافية، ص 23.

² يحي بو عزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج 1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 309.

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص 16.

⁴ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 115.

⁵ ناصر الدين سعيدي، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 25.

عمليات الجهاد لنصرة الاندلسيين، وقد ترجم هذا في شكل حملات على الجزائر التي كانت في حالة حرب مع معظم الدول الأوروبية وأسطولها الذي كان متفرقا في جهات عدة من البحر¹.

ونظرا للظروف الدولية الصعبة التي تتعرض لها الجزائر والمتمثلة في تكالب معظم أساطيل الدول الأوروبية ضدها ورفضها إبرام الصلح مع إسبانيا في حالة عدم انسحابها من وهران والمرسى الكبير، أعد الأسبان حملة بحرية كبيرة رغم الخسائر الكبيرة في الأرواح والعتاد بعد الهزيمة في حملة أوريلي².

كان الإسبان يريدون السير على الطريق يتطلب:

- مهاجمة الجزائر عن طريق البحر بواسطة أسطول قوي.

- تدمير السفن الجزائرية.

- تحطيم وتدمير حصون وقلاع مدينة الجزائر.

- بسط النفوذ على الجزائر وإملاء شروطها عليها³.

الاستعدادات الجزائرية لصد الحملة:

كان للجزائر علم بقدوم الحملة الإسبانية على الجزائر بفضل ملك المغرب الأقصى، فأمر الداوي بتجهيز كل القوات في مدينة الجزائر، فجاء من بايلك الشرق خمسة وعشرون ألف رجل، وعشرون ألف من بايلك معسكر، ومن بايلك التيطري خمسة آلاف. ولتجنب الجزائر أي خطر في المعركة من قبل العبيد تم تهريب ما يقارب 1500 عبد نحو المدينة في 29 جويلية⁴.

سير الحملة ومجرياتها:

انطلق الاسطول الاسباني في 3 جويلية من قرطاجنة، وقد تأخر سبعة وعشرون يوما

¹ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص 510.

² عزوز كرميش، الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بداية القرن 10 م، مذكرة ماجستير،

قسم التاريخ، جامعة وهران، 2015-2016، ص ص 120-121.

³ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، المرجع السابق، ص 510.

⁴ صالح عباد، المرجع السابق، ص 170.

في البحر بعد انطلاقه، بسبب الرياح والحمل الثقيل بسبب المدافع¹ جاء الاسطول الاسباني الضخم بقيادة أنطونيو بارثيلو، مهاجما عاصمة الجزائر وكان ذلك يوم أول أوت 1783 ، بالتعاون مع البرتغال وبمباركة الكنيسة².

بدأت المعارك بين الطرفين حيث أطلق الاسبان ما بين 1000 و 1100 قذيفة على المدينة لكنهم لم ينزلوا إلى البر، وبعد هذا القصف لجأ الاسبان إلى إرساء سفنهم بعيدا عن المدفعية الجزائرية.

وفي اليوم الثاني من أوت، فتحت حصون الجزائر النار، ولم يرد الاسطول الاسباني الا بعد ساعتين من الزمن وتبادل الطرفان إطلاق النار، وأصاب قنابل الاسبان دار الحكومة، وكان الداي قد استقر بين القسبة وأعطى الإذن للنساء والأطفال بمغادرة المدينة، ووقعت العديد من المعارك بين الطرفين ، استمرت لمدة تسعة أيام دون انقطاع³. وبلغ مجموع الطلقات ضد مدينة الجزائر 3723 قنبلة و 3855 طلقة مدفع، وفي المقابل بلغت الطلقات النارية من بطاريات الساحل 399 قنبلة و 3855 طلقة مدفعية⁴. وهكذا انتهت المعركة بعد اخفاق تسع هجومات اسبانية ، انهزم الاسبان وانسحبوا كان عدد الشهداء نحو مائة رجل بالمرسى، وثلاثمائة بالمدينة ، ولم يذع الإسبانيون عدد قتلهم⁵.

5 - حملة دون أنطونيو عام 1784 م :

لما فشلت حملة الدون أنطونيو الأولى عام 1783 قرر الاسبان اعادة الكرة في العام الموالي، من أجل الوقوف في وجه الجزائر والثار لانهزامهم في المعارك السابقة. الاستعداد لحملة الدون أنطونيو:

الاستعداد الإسباني: تعد هذه الحملة صليبية ذات طابع ديني بحت،

¹ وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب، عبد القادر زبادية، دار القسبة لمنشر، الجزائر، 2006 ، ص 184.

² مولود قاسم نايت بمقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيمنتها العالمية قبل سنة 1830، ج 1، دار الأمة، الجزائر، 2000، ص 163.

³ أحمد التوفيق المدني ، حرب...، المرجع السابق، ص ص 513 - 514 .

⁴ وليم سبنسر ، المرجع السابق، ص 18.

⁵ أحمد التوفيق المدني ، حرب...، المرجع السابق، ص 514 .

حيث زكتها الكنيسة الكاثوليكية وباركها البابا بيوس السادس، حيث قام بمنح كل مسيحي يشارك في هذه الحملة بركة وغفران، وقد اشتركت في هذه الحملة القوية الدعم أمم مسيحية مشتركة مثل البرتغال، مالطا، وكذلك نابولي¹.
وقد أسندت قيادة هذه الحملة الى القائد البحرية الاميرال أنطونيو دي بارلكو والذي جهز قوة بحرية تضمنت 130 سفينة حربية مختلفة الحجم بين صغيرة وكبيرة، حيث وصلت 8 سفن دعم من مالطا واحدى عشر سفينة من نابولي، وبعد علم السلطات المغربية بهذه الحملة وجه رسالة للملك كارلوس الثالث طالبا منه تأجيل الحملة وأن الجزائر سترضى بالصلح غير أن الملك كارلوس الثالث أعطى خبرا أن الحملة جهزت ولا مجال للتأجيل وأنها ستنتقل في وقتها المحدد².

الاستعداد الجزائري :

لقد كان لدى الجزائر محمد عثمان علم بحملة الاسبان، فاستعد لها وأمر بإصلاح كل ما هدم من قبل الاسبان في المعارك السابقة، حيث أمر ببناء 500 مركب بحري من نوع المنجور، كما اشترك معهم متطوعين وجماعات³.
وكان رجال الدين يدعون الناس على الجهاد من أجل زيادة عدد المتطوعين الجزائريين لمجابهة العدو .

سير الحملة :

تقدمت الحملة بقيادة الاميرال أنطونيو التي انطلقت من قرطاجنة في 18 من جوان عام 1784 لتصل الى مياه الجزائر في 9 من جويلية، حيث نظمت القوات الجزائرية استعدادا للقتال والدفاع على أسوار المدينة حيث بقيت العوامات التي تحمل المدافع الكبيرة بعيدة عن المدينة من أجل عدم وصول قنابل العدو الى الجزائر، لينطلق الاشتباك الاول

¹ يحي بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 2، المرجع السابق، ص 31 .

² يحي بو عزيز، موضوعات وقضايا...، المرجع السابق، ص 1 - 3 .

³ يحي بو عزيز، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمد سويد 1780 1798 م، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1993، ص 25 .

بين الطرفين في 12 من جويلية، حيث برزت 63 سفينة جزائرية من نوع شمووب وهي سفن مجردة من الخيام والسوارى، فتقدمت نحوها 70 سفينة اسبانية من النوع ذاته¹. كما نزلت الأسبان بزوارق اللنجور، فواجهها الأتراك بنفس الزوارق التي صنعها الجزائريون تقليدا لزوارق الإسبان فعندما غادروا في المعركة السابقة تركوا ورائهم واحدا فأخذ الأتراك نموذجا وصنعوا مثله لأن هذا النوع من الزوارق كان مجهولا لديهم².

فأقربت السفن بعضها بعضا منها 13 سفينة تحمل قاذفات و 43 تحمل المدافع الثقيلة لينطلق القتال بطلقة جزائرية في حدود الساعة 8، فأصيب 3 سفن اسبانية فاضطرت للانسحاب. وبعد 3 أيام تجدد الاشتباك بين الطرفين في حدود الساعة 3:00 مطلقا اسبانية من طرف قائدها أنطونيو، لترد السفن الجزائرية وكانت صفوف المحاربين الجزائريين غير منتظمة عكس الأسبان الذي نظم الصفوف لتستمر المعركة ساعة تلو الأخرى تتراشق الطلقات تارة اسبانية وتارة جزائرية، وبقي القتال متواصل يوم بعد يوم من 11 إلى 21 من شهر جويلية 1784³.

رغم أن الحملة أمطرت مدينة الجزائر بحوالي 1515 قذيفة، وغادر أنطونيو الجزائر مدحورا هو ومن تبعه من ضباط وجنود. اذ رجع دون تحقيق الهدف وهو السيطرة على الجزائر وكانت هذه آخر حملة يقوم بها الأسبان تجاه الجزائر حيث توقفت من العمل العسكري بشكل نهائي لتختار الأسلوب الدبلوماسي⁴.

المحاضرة الرابعة

معاهدات الصلح بين الجزائر واسبانيا

1- معاهدة الصلح بين البلدين سنة 1786:

بعدما فشلت حملتا اسبانيا اللتان شنهما القائد أونطونيو بارثيليو على مدينة الجزائر سنة 1783 ، 1784 وفشلت كل المساعي الدبلوماسية التي كانت تحمل شروطا مسبقة من

¹ بسام العسلي، الجزائر والحملات...، المرجع السابق، ص 150 .

² صالح عباد، المرجع السابق، ص 169 .

³ بسام العسلي، الجزائر والحملات...، المرجع السابق، ص 151 - 152.

⁴ يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا...، المرجع السابق، ص 311.

قبل الإسبان التي يفهم منها فرض السلم على الجزائر. أدركت إسبانيا أنها لا يمكنها فرض ارادتها على الجزائر، لذا بذل ملكها كارلوس الثالث جهودا كبيرة، وبحث عن العديد من المبادرات التي تؤدي الى حالة السلم مع إيالة الجزائر، كما أنه كان يسعى الى ربط علاقات تجارية مع الجزائر تسمح لبلاده بتوظيف قدراتها في هذا النشاط مع أوروبا وأمريكا، وهكذا اهتدى الى أسلوب التفاوض، فتجاوبت الجزائر معه. بدأت المفاوضات بين البلدين في جوان 1785، فقد حل بمدينة الجزائر مندوبان وهما الكونت ديسيلي والأميرال ماثريدو للتفاوض وتذليل نقاط الخلاف بين البلدين، وقد لعب دور الوسيط القنصل الفرنسي دي كيرسي².

وبعد مفاوضات استمرت لمدة سنة توصل الطرفان في 17 شعبان 1200 هـ الموافق ليوم 14 جوان 1786 م الى ابرام معاهدة تألفت من خمس وعشرين مادة تناولت جوانب سياسية واقتصادية وأمنية بين البلدين. تضمنت المعاهدة حالة السلم بين البلدين ومن ينتمي إليهما، والذين يمارسون التجارة، وألا يقوم طرف بأعمال تضر الطرف الآخر، التعاون بين سفن البلدين في البحر بتقديم يد المساعدة وفي حالة تعرضها للزوابع البحرية يجوز لسفن البلدين الرسو في موانئ البلد الآخر، وقد حددت موانئ أليكانت وبرشلونة ومالقة يسمح دخول الجزائريين إليها قصد التجارة أو شراء مؤن، وسمحت الاتفاقية لتجار البلدين النزول في موانئ البلد الآخر. كما تضمنت الاتفاقية عدم تقديم العون لمراكب دولة أخرى تكون في حالة حرب مع الدولتين المتصالحتين. الى جانب ذلك نصت على حرية الاسبان بالجزائر على ممارسة شعائر دينهم المسيحي³.

وإذا أخضعنا نص الاتفاقية الى قراءة متأنية لاحظنا أن إسبانيا كانت حريصة على تأمين حرية الملاحة لسفنها في البحر المتوسط، لتدعيم نشاطها التجاري وتحفيز نكاسب أخرى لفائدة الكنيسة. وكان الإسبان يشغل أذهانهم قضية القرصنة، حيث وردت الإشارة إليها

¹ مولاي بلحميسي، صفحات من تاريخ العلاقات الجزائرية الاسبانية - معاهدة 1786 بين الجزائر واسبانيا سبب ابرامها، مضمونها، نتائجها، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 11، جوان 1974، ص 07.

² يحيى بو عزيز، مفاوضات الصلح بين الجزائر واسبانيا من خلال مراسلات الداوي محمد بن عثمان باشا (1780-1787)، الثقافة، الجزائر، 1985، العدد 89، ص 101.

³ عبد القادر فكاي، معاهدتنا الجزائر مع اسبانيا 1786 و1791 ظروفهما وانعكاساتهما على العلاقات بين البلدين، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 05، ص 218-219.

في كثير من المواد ساعين الى منعها. كما يستشف منها أن الإسبان كانوا حريصين أن يحصلوا على نفس المكانة والمعاملة التي كانت تحظى بها فرنسا في الجزائر ، مما كان لديها من امتيازات تجارية على الخصوص.

وأهم ما يؤخذ على هذه الاتفاقية أنها لم تعالج السبب الرئيسي الذي أبقى الخصام مستمرا بين الجزائر وإسبانيا والمتعلق ببقاء الوجود الإسباني في وهران والمرسى الكبير ، والذي أبقى حالة الشك وعدم الثقة بين البلدين. فقد نصت المادة العشرون على بقاء قاعدتي وهران والمرسى الكبير على ما كانت عليه ، وألا يهاجمها داي الجزائر ولا باي معسكر. كما ألزمت هذه المادة الداوي أن يوافق على أية اتفاقية تحصل بين الإسبان والباي المذكور والتي تخص منع الاعتداء على القواعد والحصون في الموقعين المحتلين ، وتعد هذه المادة من بين أطول المواد في نسختها باللغة الإسبانية².

إلى جانب المادة الرابعة التي تتحدث عن حماية السفن التجارية الإسبانية الموجودة في أحد الموانئ الجزائرية من قبل القوات الجزائرية في حالة تعرضها لاعتداء من طرف سفن معادية أخرى. وقد استغل الباي محمد الكبير هذه المفاوضات ليوجه أنظاره لإخضاع القبائل المستقلة في جنوب بايلك الغرب سنة 1785 م³.

تعيين إسبانيا قناصلها في الجزائر : إن أهم ما نتج عن معاهدة الصلح بين البلدين هو إرسال إسبانيا قناصل لها على الجزائر، وقد تم ذلك من خلال رسالة بعثها الوزير الأول الإسباني الكوندي دي فلوريدا بلانكا (1728-1808)⁴ الى الداوي عثمان باشا بتاريخ 31 أكتوبر 1786م أعلمه فيها بأنه سيرسل له قنصل بلاده مانويل دي لاس هيراس⁵.

وقبل استقرار الملك الإسباني على تعيين هذا الرجل في منصب القنصلية في الجزائر، وقع جدل بين حكام الجزائر والسلطات الإسبانية، وكذلك بين الحكام الإسبان أنفسهم حول الشخصية التي ستتولى هذه المهمة في الجزائر، ففي رسالة وجهها الداوي محمد باشا الى

¹ نفسه ، ص 219 .

² أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785، تقديم محمد بن عبد الكريم، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004 .

³ عبد القادر فكاير، معاهدتا الجزائر مع اسبانيا 1786 و1791 ظروفهما وانعكاساتهما على العلاقات بين البلدين ، المرجع السابق، ص220.

⁴ يحي بوعزيز ، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني(1748-1780)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991 ، ص93 .

الوزير الأول الإسباني الكوندي دي فلوريدا بلانكا مؤرخة في 29 مارس 1786م ، اقترح فيها تعيين خوان وولف¹.

ورغم طول المفاوضات بين البلدين والتريث على توقيعها لمدة سنة كاملة، إلا أنه سرعان ما تجددت الخلافات بين البلدين حول بعض البنود استمرت لعدة سنوات لكنها لم تؤد الى قطع العلاقات بينهما. وتبدلت خلالها العديد من الرسائل بين قادة البلدين، تناولت وجهات النظر حول الاتفاقية ومراجعة بعض البنود وغيرها من القضايا، خاصة التي كانت تهم أمن اسبانيا في حرصها على منع الغارات على وهران من قبل باي معسكر. وسعيها لإبرام صلح مماثل مع تونس².

اما ما يتعلق بتعديل بعض المواد فقد بعث الداوي محمد عثمان خطابا في 24 ابريل 1787 م الى الكوندي دي فلوريدا بلانكا، عرض له فيها قيام الكوندي دي سبيلي بتغيير بعض بنود المعاهدة حيث وجد فيها تعديلا في ثلاث مواد، وطلب منه التأكد من ذلك التغيير الذي مس المادة 7 المتعلقة بالتجارة³. والمادة العشرين التي تخص وهران والمرسى الكبير، والمادة خمسة وعشرين التي تعني سواحل الإمارات في إيطاليا⁴. وأكد الداوي على بلانكا احترام ما جاء في البنود الثلاثة الأصلية وليس المحرفة⁵، ومن تداعيات هذا الصلح طلب الداوي مستحقاته المالية من الملك الإسباني كارلوس الثالث، في رسالة مؤرخة يوم 18 فيفري 1787 م، أجابه فيها عن رسالة سابقة وأبلغه فيها عن المقدار المالي تعويضا عن الأضرار التي لحقت بالبلاد من جراء القصف الإسباني الذي أصاب مدينة الجزائر وخاصة خلال سنتي 1783 ، 1784 حده بمليون ريال، وكذلك طالبه في هذه الرسالة بمبلغ 200 ألف ريال بدلا من الأسلحة التي اعتذر الملك تقديمها كشرط من شروط الصلح المذكور سابقا⁶.

¹ عبد القادر فكاير، معاهدتا الجزائر مع اسبانيا 1786 و1791 ظروفهما وانعكاساتهما على العلاقات بين البلدين ، مرجع سابق، ص220.

² نفسه ، ص221.

³ يحي بوعزيز ، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني(1780-1748)، المرجع السابق، ص103.

⁴ نفسه ، ص103 .

⁵ بوعزيز ، مفاوضات الصلح بين الجزائر وأسبانيا من خلال مراسلات الداوي محمد بن عثمان باشا (1780-1787)، ص ص 115 – 118 .

⁶ يحي بوعزي، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني(1780-1748)، المرجع السابق، ص96.

ومن أهم القضايا التي شغلت البلدين والتي وردت في كثير من الرسائل التي تبودلت بين القادة الجزائريين والقادة الإسبان إلى غاية سنة 1792 تاريخ جلاء الإسبان عن وهران ؛ حركة سفن البلدين في البحر المتوسط، وما يقع بينها في بعض الأحيان من مناورات وصدامات، تؤدي إلى حجز بعضها من هذا الطرف أو ذاك. ومن الأمثلة على ذلك اعتقال البحارة الجزائريين مركبا جنوبيا لا يحمل علما إسبانيا، وقد أكد الداوي محمد عثمان إلى الكوندي دي فلوريدا بلانكا في 15 أوت 1787 م ، أن عمل البحارة الجزائريين قانوني ولا يتعارض مع بنود الصلح، كما ذكره بأن عددا من السفن الإسبانية يتراوح عددها ما بين العشرة والخمس عشرة، كانت تتردد على السواحل الجزائرية لمدة عشرين يوما، وهذا ما يوحي بأنها كانت تسعى للقيام بشن اعتداء، وذكر الكونت بأنه قد أبلغ ذلك التصرف إلى القنصل الإسباني بالجزائر، بإبعاد مرورها قرب السواحل الجزائرية، وإلا فإن السفن الجزائرية ستعترض طريقها¹.

وقد طلب وكيل الحرج حسن من فلوريدا بلانكا في نفس الشهر والسنة أن تلتزم السفن التجارية الإسبانية العابرة للبحر المتوسط بحمل جوازات سفر، وإلا فإن المراكب الجزائرية ستعترض طريقها². ورغم هذه المسائل الخلافية إلا أنها لم ترق إلى تعكير الجو بين البلدين، بل كان القادة يتجاوزونها، وأكثر من ذلك فإنهم كانوا يتبادلون الهدايا³. ونظرا للعداء الذي كان قائما بين الدولة العثمانية وروسيا⁴، أرادت الخلافة استغلال الصلح القائم بين الجزائر وإسبانيا في منع سفن عدوتها من الدخول إلى البحر المتوسط عبر مضيق جبل طارق، وذلك من خلال خطاب بعثه محمد عثمان إلى كارلوس الرابع⁵. - الجزائر وسيط بين إسبانيا وتونس : طلب حكام إسبانيا من الداوي محمد عثمان باشا وبعض وزراءه التوسط لدى باي تونس لإبرام معاهدة صلح، وقد سعى هؤلاء القادة إلى

¹ يحي بوعزيز ، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني(1748-1780)، المرجع نفسه، ص 104 .

² يحي بوعزيز ، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني(1748-1780)، المرجع نفسه، ص 105 .

³ يحي بوعزيز ، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني(1748-1780)، المرجع نفسه، ص ص 124-123 .

⁴ عبد القادر فكاير، معاهدتا الجزائر مع إسبانيا 1786 و1791 ظروفهما وانعكاساتهما على العلاقات بين البلدين ، المرجع السابق، ص 222.

⁵ نفسه ، ص 223 .

تحقيق رغبة ويتجلى ذلك في المساعي التي أباحت بها الرسائل التي تبودلت بين حكام الإسبان ونظرانهم الجزائريين. إن هذا الصلح المنتظر تحقيقه بين إسبانيا وتونس لم يتحقق بسرعة، فإنه تأخر عقده الى غاية 19 جانفي 1791 م أي بعد مرور خمس سنوات من تاريخ ابرام الصلح مع الجزائر¹.

2 - معاهدة 1791 م بين اسبانيا والجزائر:

ظروف انعقاد المعاهدة :

يذكر أن الزلزال الذي ضرب وهران سنة 1790م قد بدأ منذ شهر أوت بهزات خفيفة استمرت الى شهر سبتمبر، وفي 09 أكتوبر وقعت هزات عنيفة التي أدت الى تدمير جزء كبير من مباني مدينة وهران، وقد ترتب عن الزلزال اشتعال حرائق في أماكن متعددة من المدينة، كما اندلعت النيران في السفينة بيرلانت التي كانت تحمل على متنها أربعة وسبعين مدفعا، خلالها فر السجناء من سجونهم، وقاموا بالسطو ونهب ممتلكات الديار الغنية، وقد قتل حوالي ثلاثة آلاف شخص، ولم يبق من الجنود سوى 1500 كانوا تحت قيادة الكونت دي كومبري هيرموسا حاكم وهران، الذي عمل على التصدي لقوات المسلمين حتى مجيء الامدادات الاسبانية، واستمرت حالة الفوضى حتى 17 أكتوبر 1790م.

لقد ساهم الزلزال في إحداث الهلع والاضطراب في نفوس الإسبان، ولم يسمح لهم الوقت في تجهيز أنفسهم للدفاع عن أنفسهم ضد هجمات المسلمين. فقد انشغلوا بمهاجمة الجرحى ودفن الموتى الذين سقطوا تحت أنقاض البنايات العسكرية والمدنية، وتأمين النظام الداخلي والأمن. كما كان انشغالهم محصورا في ترميم الأسوار والحصون والأبراج التي أصابها الدمار².

وفي 26 أكتوبر وصلت الإمدادات الإسبانية التي انطلقت من قرطاجنة كانت تضم 700 خيمة و800 مقاتل ومواد غذائية وأسلحة، وفي 29 من الشهر اضطر محمد الكبير على

¹ يحي بوعزيز ، اسبانيا توسط الجزائر لإبرام صلح مع تونس ، مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر، العدد الرابع، 1988، ص57.

² عبد القادر فكايير، معاهدتنا الجزائر مع اسبانيا 1786 و1791 ظروفهما وانعكاساتهما على العلاقات بين البلدين ، المرجع السابق، ص227.

التراجع بعدما واجهته مقاومة عنيفة، لكنه ظل ضاربا حصاره على المدينة. وقد أرهق هذا الحصار والمعارك الدامية المجلس الملكي الإسباني التي تسببت في تكاليف باهضة، ولذلك قرر التخلي عن وهران، ووافق الملك كارلوس الرابع على ذلك¹.

تركز كثير من الدراسات الغربية أن الزلزال الذي تعرضت له مدينة وهران كان السبب المباشر الذي دفع بالإسبان الى الانسحاب، ولكنها تتغافل عن المقاومة التي كانت تقوم بها القبائل المعادية للإسبان، المدعومين في كثير من الأحيان من طرف السلطات الرسمية الجزائرية، التي كان على رأسها في هذه الأثناء محمد عثمان باشا. ليس هناك من شك أن حادث الزلزال قد ساعد الجزائريين في فتح وهران حيث استغلوا ما أحدثه من تدمير للمنازل والأضرار التي لحقت بالجسور والقلاع المنيعة التي كان يتحصن وراءها الإسبان، فعلى سبيل المثال كان الجزء العلوي للقصبة بمدينة وهران الذي تحتوي على أهم المراكز الرئيسية للقيادة الإسبانية بالمدينة، مثل قصر الحاكم، والثكنة العسكرية، ومنشآت العلاج، الى جانب الكنائس قد دمرت بشكل كبير. وما ترتب عنه من موت حوالي ثلاثة آلاف من السكان والجنود، وحالة الهلع التي عاشها من بقي منهم على قيد الحياة. الى جانب هذا تعرضت الى أعمال النهب².

إن هذه الكارثة الطبيعية وحالة الاضطراب الذي ساد سكان المدينة من الاسبان قد شجع حركة المقاومة على تجديد الهجوم، وكان الإسبان من جهتهم يستميتون في الدفاع عن الموقع الى درجة أنهم أشركوا النساء في أعمال الترميم، مع التركيز على المراكز الخطرة. ولم يتمكن محمد عثمان من تحقيق أي تقدم الى داخل المدينة، خاصة بعد وصول الدعم العسكري من أسبانيا الذي بلغ تعدادة سبعة آلاف جندي. لكنه ظل فارضا الحصار. ومع مرور الأيام أحس الأسبان بصعوبة الموقف، حيث أرهقت هذه المعارك الطويلة البلاط الملكي الإسباني من زيادة التكاليف وإنفاق المزيد من الأموال عليها وعلى اصلاح ما فسد من الحصون. الى جانب هذا كان الاسبان في وهران يعانون من أوضاع اقتصادية

¹ عزيز سامح ألتز ، الأتراك العثمانيون في شمال أفريقيا ، المرجع السابق ، ص 559 .

² أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792 ، المرجع السابق ، ص 524-525.

مزرية من جراء الحصار المضروب عليهم من قبل السكان، حيث منعت السلطات الحاكمة في الجزائر القبائل الموالية بمنع التجارة معهم. وفي أبريل 1791 بعث الملك كارلوس الرابع وفدا الى الجزائر بقيادة الضابط السامي غوينباردا يحمل مقترحاته للتصالح والرغبة في التوصل، الى عقد معاهدة سلم. وكان رد الداى محمد عثمان الذي كان عمره يتجاوز الثمانين سنة ويعاني من المرض، أنه يريد ضم وهران دون شروط¹. وبعدها توفي الداى في 12 جويلية وتولي حسن منصب الداى² أرسل الملك الأسباني الى الأميرال غرابينا الذي كان موجودا في هذه الأثناء في وهران مع أسطوله وكلفه بإبلاغ الداى الجديد موافقته على الصلح مع الجزائر بضمان الخروج من الوهران، وقبول بشروط الجزائر، فوافق الداى الجديد على عقد معاهدة السلم. وتمثلت هذه الشروط فيما يلي:

- الانسحاب الكامل والعاجل من المرسى الكبير ووهران.
- إيصال جرة ماء من عيون وهران بالإضافة الى المفتاحين الذهبيين لوهران والمرسى الكبير على ظهر سفينة إسبانية وتسليمهم الى السلطان العثماني.
- وتلتزم إسبانيا بدفع مبلغ مالي قدره 12000 فرنك للخرينة الجزائرية .
- وعلى ضوء هذه الشروط تلتزم الجزائر بما يلي :
- الحق في استئناف الإسبان صيد المرجان في السواحل الغربية للجزائر.
- إنشاء مركز تجاري في مدينة الغزوات.
- يسمح للإسبان بشراء ثلاثة آلاف حمولة سنوية من القمح .
- إن ما يسعى توضيحه هو أن هذه الشروط مضافة الى الشروط التي وردت في الاتفاقية، حيث يلتزم الإسبان بترك كل المعدات الحربية والعتاد داخل المدينتين، وبعد مرور ثمانية

¹ عبد القادر فكاير، معاهدتنا الجزائر مع اسبانيا 1786 و1791 ظروفهما وانعكاساتهما على العلاقات بين البلدين ، المرجع السابق، ص229.

² نفسه ، ص 230 .

أيام من تاريخ التوقيع على مواد الصلح، أي في 17 ديسمبر 1791 م يشرع الإسبان في الانسحاب من وهران¹.

إبرام المعاهدة وبنودها:

في يوم 12 سبتمبر 1791 م عقدت معاهدة سلم جديدة بين الداي حسن والوفد الأسباني في الجزائر، تتألف من ديباجة وتسعة مواد من أهمها المادة التي تحدثت عن جلاء الأسبان من وهران والمرسى الكبير صادق عليها الملك كارلوس الرابع في 16 ديسمبر، وبدأ الجلاء في اليوم التالي وانتهى في يوم 24 فيفري 1792 م .
وهذه بنود الاتفاق باختصار:

- أن تنسحب أسبانيا من قاعدة وهران والمرسى الكبير دون قيد أو شرط وتسليمهما إلى إيالة الجزائر.

- تقوم أسبانيا بدفع مبلغ مقداره 120 ألف فرنك في كل سنة لخزينة الجزائر.

- يسمح للأسبان بإقامة مؤسسة تجارية بالغزوات .

- يسمح للأسبان بشراء ثلاثة آلاف كيلة من القمح والشعير ومحاصيل زراعية أخرى سنويا من الجزائر .

- يسمح لها بصيد المرجان على الساحل الغربي من الجزائر.

- أن تحمل سفينة أسبانية إلى إسطنبول مفتاحين ذهبيين وجرتين من ماء عيون وهران كرمز لاستردادها.

- إخلاء المدينة من جميع ما فيها من سلاح وذخيرة ، التي كانت قد غنمتها منذ استيلائها على مدينة وهران والمرسى الكبير، يوم خروج الباي مصطفى بوشلاغم منها عام 1732م .

- يترك الخيار للأسبان لتهديم ما بنوه منذ 1732م .

- يسمح للسكان الأسبان البقاء بمدينة وهران لمدة أربعة أشهر ابتداء من يوم إمضاء عقد الصلح².

¹ عبد القادر فكاي، معاهدتا الجزائر مع اسبانيا 1786 و 1791 ظروفهما وانعكاساتهما على العلاقات بين البلدين ، المرجع السابق، ص 230 .

² أحمد توفيق المنلي، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 - 1792 ، المرجع السابق ، ص 526.

كانت هذه المعاهدة مرهقة لأسبانيا حيث ألزمتها زيادة عن الجلاء عن وهران والمرسى الكبير، أن تدفع ضريبة سنوية قدرها 120 ألف فرنك الى جانب هدايا مختلفة تتكون من أسلحة وسفن وعتاد حربي، وأن ترجع الى وهران المدافع والقاذفات والذخائر وجميع المعدات الحربية الأخرى التي لأسبانيا في مدينة وهران نقلتها قبل خروجها الى قرطاجنة في أسبانيا. وهناك شروط أخرى فرضها الداوي حسن على كارلوس الرابع تتمثل في حمل مفتاحين من الذهب لمدينة وهران وجرتين من ماء غيونها الى إسطنبول لتقديمها الى الخليفة العثماني سليم الثالث¹.

بدأ الانسحاب الاسباني من وهران في منتصف ديسمبر 1791 م، بعد ما ترك الأسلحة والعتاد المتفق عليه وتسليم المدينة للباي محمد الذي دخلها ومعه المجاهدين الذين كانوا يحاصرونها وذلك في يوم 24 فيفري 1792 م².

انعكاسات المعاهدتين على العلاقات بين البلدين:

رغم التوتر الذي ساد العلاقات بين البلدين قبل سنة 1786 م، إلا أن المعاهدة التي أبرمت بينهما في هذه السنة قد فتحت المجال لتحسن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، فقد التحق العديد من القناصل الإسبان بمدينة الجزائر ووهران وعناية، بعدما كان الوجود القنصلي الإسباني بالجزائر منعدما من قبل بسبب حالة الحرب التي كانت سائدة بين البلدين، ولهذا فقد استقر في مدينة الجزائر القناصل: مانويل دي لاس هيراس، مانويل أسبرير إبخانير، ميغويل لاريا سالسيدو، خوسي ألونسو أورتييز. وكان في مدينة وهران قناصل ونواب قناصل نذكر منهم خوان غاريدو. ولم تخل مدينة عناية من الوجود القنصلي، فقد مثل إسبانيا في هذه المهمة بارتولومي إيسكوديرو، خوان بيغو، أوغسطين كسيكلانا.

وقد زادت معاهدة سنة 1792 م التي أبرمت بينهما إثر تحرير وهران النهائي من الوجود الإسباني، من وتيرة العرقات التجارية، التي بدأت تنشط منذ إبرام معاهدة 1786 م، حيث

¹ عبد القادر فكاير، معاهدتا الجزائر مع اسبانيا 1786 و 1791 ظروفهما وانعكاساتهما على العلاقات بين البلدين، المرجع السابق، ص 231.

² ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، عبدل تحقيق وتقديم، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص 459.

أقامت العديد من الشركات التجارية مراكز لها في الجزائر مثل شركة كامبانيا سنة 1792 م.

وكانت اهتماماتها منصبة على شراء الحبوب والمواشي، وشركة صيد المرجان الإسبانية التي باشرت نشاطها في الجزائر سنة 1791 م، فقد خصلت على حق الصيد في السواحل الجزائرية وخاصة الغربية منها، وشركة غاريغو التي تهتم بشراء الجلود والشمع وكذلك الحبوب من الجزائر، وكانت هذه الشركة الى جانب شركة كامبانيا مسموح لهما بتصدير عملة البياستر الإسباني الى الجزائر¹. أما من الجانب الجزائري فقد تولت شركة بكري وبوجناح نشاطها مع بعض المدن الساحلية الإسبانية مقل قرطاجنة وأليكانتي. من أهم الصادرات الجزائرية الى إسبانيا هي الحبوب والمواشي والجلود والصوف والشموع، وأهم الواردات من إسبانيا الأسلحة وأدوات النشاط البحري والمواد الغذائية مثل الشاي والسكر والبن والأقمشة، وأهم الموانئ الجزائرية التي كانت تصدر وتستقبل السلع من أسبانيا هي وهران أرزيو الجزائر عنابة.

المحور الثاني : العلاقات بين الجزائر وفرنسا

المحاضرة الخامسة

العلاقات السياسية بين الجزائر وفرنسا



أولا / العلاقات السياسية بين الجزائر وفرنسا خلال القرنين 16م و 17م.

إن تعيين قنصل فرنسا في الجزائر قد قوبل بمعارضة شديدة في البداية من قبل حكومة الولاية، وتبين ذلك من الرسالة لحسين باشا الى حكام مدينة مرسيليا يقول فيها : " فنحن ليست لنا أية وسيلة ، فالمسألة تثير امتعاضا في نفوس التجار والشعب وكل الناس، فهم لا يريدون قبول السلطة الجديدة التي تريدون فرضها عليهم " ، إن أول تمثيل دبلوماسي وعلى الرغم من تضارب المؤرخين في تاريخ تنصيب أول قنصل في الجزائر كان عام

¹ عبد القادر فكايير، معاهدتا الجزائر مع اسبانيا 1786 و 1791 ظروفهما وانعكاساتهما على العلاقات بين البلدين ، المرجع السابق، ص 233 .

1578 بمقتضى فرمان (قرار) أصدره الباب العالي يقضى بتعيين قنصل لفرنسا بالجزائر¹، حيث نزل القنصل الفرنسي موريس سورون واستقبله الداي جعفر بالعاصمة ، واستمر هذا التمثيل قائما إلى غاية حادثة المروحة عام 1827 م².
إن موضوع العلاقات الجزائرية الفرنسية يكتسي أهمية بالغة بالنسبة للبلدين ليس من الناحية التاريخية حيث تمتد جذورها الأولى إلى بدايات ظهور الدولة الحديثة في القرن 16م³ ، وخصوصية هذه العلاقات السياسية والتجارية وتميزها بخصائص منذ وقت مبكر وحتى سقوط الدولة الجزائرية في صيف 1830م ، بل كان لها أثرها العميق على علاقات البلدين بعد استعادة الجزائر لسيادتها في صيف 1962.

العلاقات الرسمية : فتح قنصلية فرنسية في الجزائر

بالرغم من التقارب الذي شهدته العلاقات الجزائرية الفرنسية ، فإن العلاقات بين البلدين لم تتخذ صبغة رسمية إلا حوالي 1578 م بفتح القنصلية الفرنسية في الجزائر .
وتعود أولى المحاولات في ذلك الصدد إلى النصف الثاني من القرن 16 م حينما قام الملك شارل العاشر بتعيين أحد رعاياه ويدعى بارتول لمنصب القنصل في مدينة الجزائر في 15 سبتمبر 1564 م ولم تكلل المحاولة بالتوفيق نظرا للمعارضة الشديدة التي أبداهها كل من الباشا والديوان لفكرة إقامة دائمة للممثل عن دولة مسيحية فرجع المرشح من حيث أتى . ويبدو أن مرسليا تراجعت بعد هذا الرفض عن موقفها⁴ .

وفي عهد الملك هنري الثالث الذي عزم على إيجاد تمثيل دبلوماسي في بلاد المغرب عموما تجددت المحاولة ورغم فتح قنصليات في تونس والمغرب لكن حكومة الجزائر أصرت على معارضتها . أمام الرفض المتواصل تدخل الباب العالي حيث أرسل مراد الثالث في أوائل عام 1578 م أمرا بقبول موريس سورون قنصلا ، لكن الباشا حسن فنزيانو رفض هذا التمثيل الدبلوماسي، لكن الباشا تراجع عن موقفه ، وخلال الفترة من

¹ عائشة غطاس: العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر 1619 - 1694 م ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1985 ، ص 10 .

² عياشي بلقاسم ، المرجع السابق ، ص 854 .

³ صالح فركوس ، المرجع السابق ، ص 83 .

⁴ جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، 1994 ، ص 45.

أفريل 1579 م الى سبتمبر 1582 م تعاقب ثلاثة نواب قناصل على المنصب . ويعود سبب اصرار فرنسا على التمثيل الدبلوماسي في الجزائر لتفادي الخسائر التي تتعرض لها السفن والتجار الفرنسيين حتى تحظى بمكانة في حوض البحر المتوسط ففي خلال الفترة 1560م - 1565م تكبدت خسائر كبيرة قدرت ب أربع مائة ألف دورو .

إذا تفحصنا نصوص المعاهدات ابتداء بمعاهدة 19 مارس 1619م وهي أول معاهدة مبرمة بين البلدين نجد أن فكرة التمثيل الدبلوماسي للجزائر في فرنسا قد وردت غير أن هذه المعاهدة والمعاهدات التي تلتها 1628م ، 1641م ، 1666م وغيرها لم تحدد مهام هذا الموظف وتطلق عليه أحيانا تسمية الرهين¹ ، وفي أوت 1628م قررت الجزائر تعيين ممثل لها في مرسيليا وكان ضابطا يدعى حمزة ولكنه تعرض للإهانة فرجع الى البلاد وهكذا انتهت قضية التمثيل الدبلوماسي في فرنسا. وحظيت بذلك فرنسا بتمثيل دبلوماسي لعب دورا كبيرا في سير العلاقات بين البلدين بينما ظلت الجزائر تعهد للبعثات الدبلوماسية كلما اقتضت الضرورة².

الملك هنري الرابع و احياء التقارب: كان الملك هنري الرابع يدرك عدم قدرته على مواجهة الأخطار والأعداء في الداخل والخارج وكان يعلم بقوة الأسطول الجزائري مما جعله يعمل على احياء علاقات الصداقة بين البلدين . ووجه السلطان العثماني بأمر الى باشا وحكومة الجزائر بتقديم المساعدة لفرنسا متمثلة في القمح والخيول والقوات لمجابهة الخطر الاسباني والتمرد الداخلي خاصة في مرسيليا. وهكذا يمكن القول بان العلاقات الجزائرية الفرنسية عرفت منذ ثلاثينات القرن السادس عشر الى التسعينات منه فترات خصبة من التعاون فكانت البحرية الجزائرية تقدم دعما نافعا لفرنسا لمواجهة الادعاء في الداخل والخارج.

وضع العلاقات بين البلدين قبل 1619م:

حادثة حصن فرنسا: تصدعت العلاقات الجزائرية الفرنسية بعد مضي أيام قلائل على تاريخ تجديد وتأكيده فرنسا لامتيازاتها لدى الدولة العثمانية بتاريخ 30 ماي 1604م بفضل

¹ عائشة غطاس: العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر 1619 - 1694 م ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1985 ، ص ص 5 - 14 .

² صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم عنابة ، الجزائر، 2002 ، ص 13.

مجهودات سفيرها شقاري دوبريق . كان تدمير مركز المؤسسات الفرنسية او الحصن من طرف الحكومة الجزائرية في جوان 1604م السبب المباشر لذلك وكان الدافع الاساسي هو تذرع الجزائريين بمجاعة أصابت البلاد ، فالشركة الفرنسية لم تحترم الاتفاقيات التي تنص على ان يقتصر نشاطها على صيد المرجان لمها قامت بشراء الحبوب بأسعار رخيصة لتصدرها الى مرسيليا متجاهلة اوضاع البلاد العصبية . فعزمت حكومة الجزائر على وضع حد لهذه المبالغاة وأوعزت الى الحامية المتواجدة في مدينة عنابة بتخريب الحصن وحجر موظفيه . اعتبر ملك فرنسا هذا الحادث اهانة لشرف فرنسا واحتج لدى الباب العالي لإعادة بناء الحصن وتعويض خسائر التجار الفرنسيين. وجاء المبعوث الاغا محمد خوجة لتسوية الخلاف سنة 1605 لكن سفارته لم تسفلا عن أي نتيجة. فأوكلت فرنسا مهمة التفاوض لسفيرها في اسطنبول سقاري دوبريق مع مبعوث السلطان الخوجة مصطفى لكن المفاوضات فشلت في فداء الأسرى وإعادة بناء الحصن¹ .

حادثة سيمون دونصا :

وهي حادثة سرقة قام بها احد رعايا فرنسا يدعى سيمون دونصا وهو بحار فرنسي من أصل فلامنكي دخل الجزائر سنة 1606م ومارس نشاط القرصنة وحقق مكاسب وشهرة كبيرة أعاره الباشا مدفعين من البرونز لتسليح سفينته لكنه فر فاحتج الباشا لدي هنري الرابع الذي أثر عدم الاكتراث والرد². وقام سيمون بتحريض فرنسا على احتلال مدينة الجزائر . فتصدعت العلاقات بين البلدين وقامت مرسيليا بتجهيز حملات فاشلة وبلغت خسائر فرنسا في ظرف خمس سنوات زهاء ثلاثة ملايين فرنك وعدد كبير من الأسرى³. إعادة العلاقات الحسنة : حاولت فرنسا إعادة السلام دون ان تتنازل عن قضية المدفعين فأرسلت بعثة من مرسيليا 1617م وأفرجت على بعض الأسرى الجزائريين حتى تسهل مهمة التفاوض لكنها تعثرت وفشلت خاصة مع محاولة الفرنسيين الاستيلاء على الحصن بالقوة. ورغم أن الجزائر وافقت على احترام المعاهدات المبرمة بين فرنسا والباب العالي

¹ عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619 - 1694) ، المرجع السابق، ص 6 - 9.

² وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر ، تر: عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006 ، ص 171.

³ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500 - 1830، المرجع السابق ، ص 62 .

لكن هذه الهدنة لم تضع حدا للخلافات وحاولت فرنسا مع هولندا في 1618م ضرب مدينة الجزائر لكن انكثرا اعترضت سبيل السفن الهولندية عند مضيق جبل طارق. سفارة سنان آغا وروزان باي: هددت فرنسا بتوجيه حملة الى الجزائر وارسل الباب العالي مبعوثه فاستجابت الجزائر لإتمام المفاوضات وارسلت بعثة يرأسها سنان آغا وروزان باي وتم توقيع معاهدة بين الطرفين في 21 مارس 1619م ، وكانت أول معاهدة سياسية لإعادة السلام بين الدولتين . لكن أفراد البعثة مع عدد من الأسرى تعرضوا لعملية القتل من طرف سكان مدينة مرسيليا بعد وصول نبأ تعرض الرأيس رجب لسفينة فرنسية محملة ببضائع ومواد ثمينة وقد تجاوز عدد الضحايا 60 شخصا. وتم محاكمة عدد من المتسببين في هذه المجزرة¹.

كان من الطبيعي أن يكون لهذه الحادثة أصداءها في الجزائر وأن تثير ضجة كبيرة فثار الأهالي ضد الجالية الفرنسية وألقي القبض على القنصل الفرنسي.

وكانت هذه الحادثة سببا في تعزيز العلاقات بين البلدين قرابة ثماني سنوات ركز الجزائريون نشاطهم الحربي على جنوب فرنسا ، تكبدت فرنسا خلالها خسائر مالية وبشرية كبيرة . وأمام ضعف البحرية الفرنسية اضطر الملك لويس 13 الى طلب المفاوضة وطلب من الباب العالي للتوسط لإعادة العلاقات بين فرنسا والجزائر، فأرسل سليمان شاوش للنظر في النزاعات بين البلدين لكنه لم يوفق في مهمته جراء رفض حكومة الجزائر².

السلام العابر : لقد أدركت فرنسا أن مصالحها في الجزائر أصبحت مهددة من طرف دول منافسة لها فأوفدت في جوان ممثلا لها لتفاوض بشأن إعادة السلام وبعد أن مكث مدة في الجزائر رجع الى بلاده .وبذلت فرنسا ما في وسعها لتهيئة أرضية التصالح فأخرجت عن الأسرى الجزائريين وأطلقت سراح الرأيس شعبان ورفاقه وسفينته المحملة بالبضائع. وبعد تعثر للمفاوضات تمكن سانسون نابليون الذي بذل مبالغ كبيرة قدرت ب 30 ألف ليفر من ابرام معاهدة سياسية وتجارية في 19 سبتمبر 1628م تضمنت 12 بندا ، كما

¹ جمال قنان ، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619 - 1830 ، دار هومه ، الجزائر ، 2010 ، ص ص 63 - 65 .
² يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500 - 1830 ، المرجع السابق ، ص 64 .

تمكن من إبرام اتفاقية بشأن المؤسسات الفرنسية. ورغم الامتيازات التي منحت لفرنسا جراء المعاهدة لكنها لم تكن في مستوى طموح فرنسا إذ حرمتها من مكاسب طالما تمتعت بها في السابق ، ولذلك لم تمنع هذه المعاهدة النزاع بين البلدين الا لفترة وجيزة وكانت فرنسا هي أول من نقض العهد¹.

بدأت أولى تعديات البروفانسين في ربيع 1629م فاعترضت سفينة من سيوتات سفينة جزائرية واستمر المرسيليون في مهاجمة البحارة الجزائريين ، وكان رد البحارة الجزائريين مؤكدا ومؤثرا وبلغت قيمة الأموال الفرنسية المصادرة 4752000 ليفر وثمانية سفن وأسروا 1331 أسير خلال الفترة 1628 م – 1634م. وقد امتنعت فرنسا عن تعيين خليفة لسانسون نابولون بعد وفاته².

تسوية الخلاف بين البلدين :

مهمة سانسون لوباج ونتائجها:

كان هدفها إعادة العلاقات السياسية و التجارية بين البلدين ، وحمل الحكومة الجزائرية على تعديل موقفها من قضية تفتيش السفن الفرنسية من طرف رياس البحر ، وأيضا التطرق لمسألة فداء الأسرى منذ 1629م واسترجاع المؤسسات الفرنسية ووصلت البعثة الى الجزائر في 15 جويلية 1634م وشرعت في المفاوضة واستمرت فترة طويلة لكن الباشا يوسف رفض المطالب الفرنسية وتبادل الأسرى غير المتكافئ فلم تحقق المفاوضة أي نتيجة³.

وزاد من تفاقم الوضع عندما أمر لويس 13 في شهر ماي 1636م ارسال اسطول الى البحر المتوسط لمطاردة البحارة الجزائريين ، وتوجهت 12 سفينة تحت قيادة مانتان بصحبة لوجان نحو سواحل الجزائر للضغط على حكومة الجزائر لتحرير الأسرى

¹ عائشة غطاس ، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619 - 1694) ، المرجع السابق ، ص 43 - 45 .

² عائشة غطاس ، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619 - 1694) ، المرجع نفسه، ص 50.

³ جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 - 1830 ، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والاشهار، منشورات متحف المجاهد ، الجزائر ، 2005 ، ص 224 .

الفرنسيين وتعديل معاهدة 1628م لكن غلبة الظروف المناخية حال دون تحقيق الهدف. وتوترت العلاقات أكثر وتعطلت العلاقات التجارية بعد تحطيم علي بتشين الحصن¹.

مفاوضات كوكيال و صلح 1640م:

كوكيال هو أحد أسرى الحصن ومن أصحاب المصالح التجارية الذين رأوا في تعطيل العلاقات خسارة كبيرة ، وسهلت الحكومة الجزائرية بقبول مفاوضاته توصل بعد سنتين من إبرام معاهدين الأولى سياسية والثانية تخص المؤسسات الفرنسية . وقد رفضت فرنسا المصادقة عليها وعزم الكاردينال ريشيليو على إرسال قوة بحرية إلى الجزائر وبعث برسالة الى الديوان بغية تعديل نصوص المعاهدة لكنه أصر على عدم تعديل معاهدة 1640م ، رغم أن فرنسا حاولت مرارا بالقوة تعديلها كما قررت الحكومة الفرنسية رسميا عدم المصادقة عليها. واستمرت الحرب بين البلدين وحقق فيها الجزائريون غنائم كبيرة قدرت ب أربعة ملايين ، وقد انشغلت فرنسا داخل أوروبا².

معاهدة صلح 1689 م :

وأبرمت معاهدة صلح في 24 سبتمبر 1689م تضمنت 31 بندا تناولت مختلف النزاعات القائمة وفداء الأسرى ، ونظرا لأهميتها تم تجديدها عشرون مرة. وأوفد الداوي شعبان مبعوثه محمد الأمين لتسوية الخلافات واسترداد الأسرى³.

وقد استمر هذا الصلح قرابة مائة سنة (1690-1790م) حيث تميزت العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال المائة بالاستقرار والتعايش السلمي، وإذا حدث أن طرأت بعض الحوادث من جهة أو من أخرى، فإن هذه لم تؤد في أي وقت من الأوقات إلى القطيعة⁴. ولكن مع وصول نابليون إلى الحكم بدأت الأمور تتغير تدريجيا ، رغم انتهاج نابليون

¹ عائشة غطاس ، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619 - 1694) ، المرجع السابق ، ص 56.

² يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500 - 1830 ، المرجع السابق ، ص 73 .

³ جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 - 1830 ، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والاشهار، منشورات متحف المجاهد ، الجزائر ، 2005 ، ص 25 .

⁴ جمال قنان ، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619 - 1830) ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1987 ، ص 141 .

لسياسة المهادنة مع الجزائر في حملته على مصر عام 1798 م وحرصه على استمرار العلاقات الطيبة معها، حيث أن النزعة الاستعمارية جعلت منه يبيت مخططا عسكريا لاحتلال الجزائر، فقد جهز حملة كبيرة عام 1805 م إلى الجزائر بقيادة أخيه جبروم لحمل الداي على إطلاق سراح الأسرى الإيطاليين أو إعلان الحرب على الجزائر، فأطلق الداي سراح 230 أسير، وسرعان ما عاد الجزائريون إلى مهاجمة السفن والرعايا الفرنسيين فجدد بونابرت تهديده للجزائر، وقد زاد اهتمامه بالجزائر بعد تدخله في إسبانيا وتنصيب أخيه جوزيف ملكا عليها، و صار يحلم بإنشاء قاعدة بحرية على الساحل الجزائري يوازن بها قواعد الإنجليز في جبل طارق ومالطة².

و يدخل هذا في إطار النزعة الاستعمارية لنابليون والتي تجسدت من خلال جملة من المشاريع والمخططات لاحتلال الجزائر منها مشروع بوتان، حيث يمثل مشروع فانسون ايف بوتان الحجر الأساس للحملة الفرنسية على الجزائر، فالمطلع على عنوانه أنه تلقى أمرا رسميا من السلطات الفرنسية، فجاء مشروعه حاملا لعنوان الاستعمار³. في سنة 1808 م اتجهت أنظار نابليون للجزائر، فقام الدوق دوكري بإرسال الضابط بوتان وهذا بتكليف من نابليون نفسه، وذلك من أجل دراسة الأوضاع العامة لمدينة الجزائر والتركيز على نقاط القوة والضعف لهذه المدينة ورغم الصعوبات والإنذارات المتكررة من الداي على التجاوزات التي قام بها، واصل بوتان مهمته الاستطلاعية حيث انتقل إلى سيدي فرج وتأكد أن هذا الموقع الاستراتيجي هو المكان المفضل لنزول الجيش الفرنسي⁴.

وقد قدر بوتان تعداد القوة التي يجب إرسالها لنجاح الحملة وقد حصرها ما بين 35 ألف و 40 ألف رجل، مشيرا في الوقت نفسه بعد احتلال الجزائر يجب وضع قوة لا تقل عن 10 آلاف رجل لحراستها⁵.

¹ جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 - 1830، المرجع السابق، ص 94.

² صالح فرحوس، المختصر في تاريخ الجزائر، غابة (الجزائر)، دار العلوم، 2002، ص 140.

³ بنورف، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر (1782-1830)، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 401.

⁴ بلقاسم عياشي، المرجع السابق، ص 856.

⁵ جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 - 1830، المرجع السابق، ص ص 135 - 136.

كما قام بوتان بصياغة تقرير مفصل عن كل صغيرة وكبيرة تخص مدينة الجزائر، بما في ذلك الجيش الجزائري، حيث تطرق إلى مميزات الجيش الجزائري على أنه يعتمد إستراتيجية حربية بسيطة هي الكر والفر، والخبرة في التكتيك الحربي وكذا فن التعامل مع السلاح، كما أن تعداده جد معتبر، فهو يتكون حسب من : فرقاطات ذات تسليح، وسفن من نوع شباك مزودة بمدافع وزوارق حربية وغليوبات، بالإضافة إلى بعض المراكب الصغيرة المسلحة.

وقد مكث بوتان في الجزائر من 24 ماي إلى 17 يوليو عام 1808 م، وجمع العديد من المعلومات، ووضع الكثير من اللوحات العسكرية، وفي طريق عودته أسرته سفينة بريطانية وذهبت به إلى مالطة، ثم أفلت واتجه إلى أزمير بالقسطنطينية وبعدها ذهب إلى باريس، حيث أعاد كتابة تقريره، وأرفقه بأطلس جغرافي من حوالي 15 لوحة وخريطة¹. وقد أولت الحكومة الفرنسية أولوية كبيرة لهذا المشروع، حيث قرر مجلس الوزراء الفرنسي المنعقد في 19 ديسمبر 1829 م تنفيذ خطة بوتان، وهذا ما عبر عنه القائد العام في أعمال هذا المجلس قائلا: "20 يوما كانت كافية لهدم وجود هذه الدولة التي أتعبت أوروبا منذ ثلاثة قرون"².

وقد تأجل تجسيد هذا المشروع لدى نابليون نظرا للظروف التي ألمت بفرنسا بصفة عامة، ونابليون بصف خاصة، هذا الأخير الذي انتهت إمبراطوريته في معركة واترلو 1815 م أين تنازل عن العرش ونفي وتوفي في منفاه 1821 م، بعدها استؤنفت العلاقات بين الجزائر وفرنسا وتبادلت الرسائل الودية³.

ومنذ أن تولى الداي حسين مقاليد الحكم (1818 – 1830) أخذ يطالب فرنسا بتسديد الديون التي عليها للجزائر⁴، وهي الديون التي اشتهرت باسم ديون (بكري) و (بوشناق) وقد أدت مطالبة الداي من جهة وسكوت فرنسا من جهة أخرى بالإضافة إلى غطرسة القنصل الفرنسي (دوفال) إلى قصة المروحة المشهورة التي اتخذتها فرنسا حجة لتنفيذ

¹ يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص 229.

² بلقاسم عياشي، المرجع السابق، ص 857.

³ جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 20.

⁴ جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 – 1830، المرجع السابق، ص 288.

مشروعها في احتلال الجزائر ، هذا كل ما ميز العلاقة بين الجزائر وفرنسا طيلة ثلاثة قرون والتي كان يغلب عليها طابع السلم في أغلب فتراتها¹.

و خلاصة القول تميزت العلاقات بين البلدين خلال الفترة 1619م-1660م بالاضطراب والتناقض والاصطدام والتصالح واتسمت بالمرونة من الجانب الفرنسي تجلى في إرسال البعثات الدبلوماسية بهدف شراء السلم وتنشيط التجارة بين البلدين ويرجع ذلك لظروف فرنسا ومنافسة الدول الأخرى لها إضافة لقوة البحرية الجزائرية. وقد عمدت فرنسا خاصة منذ 1636م الضغط على الجزائر لتعديل معاهدة 1628م لكنها فشلت².

ثانيا/ العلاقات السياسية بين فرنسا والجزائر خلال القرن 18م وبداية القرن 19م:

* تحركت العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 18م في اطار المعاهدة التي أبرمت بين الطرفين ، بعد جهد كبير في عام 1689م ولقد أضيفت خلال هذا القرن وفي مناسبات مختلفة بعض الترتيبات التي أدمجت في صلب هذه المعاهدة وأصبحت جزءا لا يتجزأ منها ، والتي سوف ينتهي أجلها عند نهاية العشرية الثامنة من هذا القرن. لقد حدثت عدة توترات في العلاقات بين البلدين بسبب الانتهاكات التي تحدث لبعض ترتيباتها من حين لآخر . كانت السلطات تعاقب بكل صرامة المسؤولين عن هذه التجاوزات إذا كانوا جزائريين ، لقد أكد القناصل الفرنسيون ذلك في التقارير التي كانوا يرسلونها لسلطات بلادهم بل نجد من كان منهم يتوسط لدى سلطات الجزائر لتلمس العفو عن الرأيس المذنّب والتي دون الوساطة لن ينجو من العقاب الشديد. إن التماس العفو عن المذنّب كان عرفا جاريا لدى القناصل الفرنسيين المعنيين بالتجاوز ونادرا ما كانوا يتحللون من هذا التقليد، وفي هذه الحالة لن ينجو من العقاب المتمثل غالبا في الإعدام.

ولكن الأمر ليس كذلك لدى الطرف الفرنسي لقد تأكد مرارا وبأدلة ثابتة تلاعب السلطات الفرنسية بمنح جوازات فرنسية لسفن بلدان معادية للجزائر، كما أن المصالح الشخصية التي يعمل القناصل على تثمينها اعتمادا على منصبهم والدوافع الذاتية التي تجعلهم

¹ عياشي بلقاسم ، المرجع السابق ، ص 858 .

² عائشة غطاس ، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619 - 1694) ، المرجع السابق ، ص

يخلطون بين مصالحهم الشخصية ومصالح الدولة التي يمثلونها كثيرا ما كانت السبب في التوترات .

* ونتيجة للأحداث الكبرى التي عرفتها فرنسا في نهاية القرن 18م تحركت وقائع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ان طبيعة هذه العلاقات وخصوصيات الدوافع المحركة لها تستوجب التمييز بين ثلاث مراحل الأولى تبدأ بتمديد معاهدة السلم المنوي لمائة سنة أخرى في شهر مارس 1790م لتنتهي عند إعلان الجزائر الحرب ضد فرنسا بسبب احتلالها لمصر عند نهاية شهر ديسمبر 1798م والمرحلة الثانية التي تنطلق من توقيع هدنة غير محدودة الأجل بين البلدين في شهر جويلية 1800 الى سقوط نابليون بونابرت في ربيع 1814م ، والمرحلة الثالثة والأخيرة التي تبدأ بعودة الملكية الى الحكم في فرنسا لتنتهي عند حدوث القطيعة بين البلدين ، وقرار فرنسا تجريد حملة عسكرية ضد الجزائر في مستهل سنة 1830م .

في نهاية القرن 18م كانت الجزائر دائما تسعى لتحقيق التوافق والانسجام بين البلدين، ففي ربيع 1886م كادت تؤدي حادثة الاستيلاء على سفينة جزائرية الى حدوث أزمة بين البلدين وبعد فترة تم الاتفاق على التعويض وتسوية المسألة ، وفي يوم 29 مارس 1790 وقع الطرفان اتفاقا يكرس تسوية كل المسائل التي كانت محل خلاف¹ .

فبعد وقوع حادث ألم ببعض سفن مع سوء تصرف القنصل فالير الذي تم تثبيته بعد هذه الأزمة حيث لم يجد أي صعوبة ولم يلاحظ أي ملاحظة لدى المسؤولين للاعتراف بالنظام الجديد في فرنسا 1793م ولا في إقرار وتثبيت المعاهدات القائمة بين البلدين ، فقد سارع الداوي حسن باشا الى إقرار تلك المعاهدات رغم مساعي الأطراف الأوروبية وخاصة انجلترا لإقناع الجزائر على اتخاذ موقف آخر، كما التزمت الجزائر بتقديم المساعدات الغذائية وغيرها لفرنسا².

¹ جمال قنان ، العلاقات الجزائرية الفرنسية ، المرجع السابق ، ص ص 16 - 22 .

² جمال قنان ، العلاقات الجزائرية الفرنسية ، المرجع نفسه ، ص ص 25 - 30 .

* وقد تطورت هذه العلاقات فكانت أفضل ما تكون في عهد الثورة الفرنسية ، فقد اعترفت الجزائر بالجمهورية الفرنسية الجديدة في وقت كانت فيه تحت حصار أوروبي محكم . وتكونت بين الدولتين علاقات ودية باستثناء فترة الحملة الفرنسية على مصر (1778م - 1801م) ، عندما قام نابليون بحملته على مصر خريف 1798م وأعلنت الدولة العثمانية الحرب على فرنسا وأوعزت للجزائر لقطع العلاقات معها وبعد مفاوضات استجابت الجزائر وأعلنت الحرب في ديسمبر 1798م على فرنسا وقدمت المساعدات وقامت بحجز رعايا فرنسا 23 شخصا موظفين وتجار وأعوان الوكالة الافريقية 95 شخص ولم تكن معاملتهم قاسية . وبعد فترة من القطيعة توجه القنصل الفرنسي تانفيل الى الجزائر في جوان 1800م للتفاوض من أجل التسوية وحل المشاكل وبعد مفاوضات متعثرة أقر الديوان المعاهدة في 28 سبتمبر 1800م التي ضمنت الشروط الجزائرية وأعدت العلاقات بين البلدين. وقد توترت العلاقات بعد ذلك وأدت الى قطعها من جديد بسبب التعنت الفرنسي وعدم جديته في التقيد ببنود المعاهدات السابقة.

* في 1796م أقرضت الجزائر حكومة الثورة في فرنسا مليوناً من الفرنكات بدون فائدة ، على تستعمل فرنسا هذا المبلغ في شراء الحبوب من الجزائر ، وفي 1794م أذنت الجزائر للحكومة الفرنسية أن تتمول في موانئ الجزائر عندما كانت الأسواق الأوروبية مغلقة في وجه التجارة الفرنسية . وفي أول الأمر كان شراء المواد الغذائية من الموانئ الجزائرية يتم بطريقة مباشرة فتدفع الشركة الملكية ثم خليفاتها الوكالة الوطنية الفرنسية الثمن إلى الحكومة الجزائرية . ثم غيرت فرنسا طريقة الدفع أثناء حكومة المؤتمر فلجأت الى التجارين اليهوديين الجزائريين بكري وبوشناق ليقوما بالدفع بدلها الى الحكومة الجزائرية.

وبينما كانت فرنسا مدينة لليهوديين الجزائريين ، كانا هما مدينين للدولة الجزائرية وفي سنة 1795م قدر دين فرنسا بمليونين فرنك ، أما دين اليهوديين للجزائر فقد قدر ب300000 فرنك وقد عين هؤلاء التجار اليهود يعقوب بكري ممثلاً لهم في مرسيليا ثم في باريس.

في سنة 1819م عينت الحكومة الفرنسية لجنة رباعية لدراسة الدين الذي على فرنسا لرعايا الجزائر اليهود وقدرته بـ 42 مليون فرنك ولكن هذا المبلغ خفض الى 7 ملايين فقط نتيجة مطالب اطراف اخرى بديونها التي على أسرة بكري وبوشناق ، ولكن المذكرة التي أصدرتها الحكومة الفرنسية في 28 أكتوبر 1819م قد أكدت أن ملك فرنسا عازم على ارضاء مطلب باشا الجزائر للمحافظة على العلاقات الودية بين الجزائر وفرنسا ، وقد أعلن رسميا في 12 افريل 1820م أنه راض اذا سددت الحكومة الفرنسية الدين الذي عليها الى يعقوب بكري مباشرة. وفي 24 جويلية 1820م صدر قانون عن البرلمان الفرنسي بتخصيص 07 ملايين فرنك لتسديد الدين الى يعقوب بكري وبعد ذلك أحالت الحكومة الفرنسية القضية على المحاكم ومعنى ذلك أن الباشا لن يحصل من يعقوب بكري على الديون المتركمة عليه¹.

المحاضرة السادسة

الحملة الفرنسية على الجزائر

ولم تمض سنوات حتى نشبت خلافات عديدة بين الجزائر وفرنسا أدت إلى قطيعة دامت قرابة ربع قرن، حيث تصدعت العلاقات بين البلدين بسبب تدمير مركز المؤسسات الفرنسية أو الحصن من طرف الحكومة الجزائرية في جوان 1604 م ، فقد ذهب جل المؤرخين الغربيين على أن الدافع لأساسي في ذلك هو تذرع الجزائريين بمجاعة أصابت البلاد .

غير أن جوهر الأزمة يعود إلى سبب واضح وهو عدم احترام الشركة الفرنسية للاتفاقيات التي تنص على أن يقتصر نشاطها على صيد المرجان ، لكن الشركة لم تعر أدنى احترام لها ، فتجاوز نشاطها صيد المرجان إلى شراء الحبوب بأسعار زهيدة لتصدره إلى مرسيليا جانية في ذلك أرباحا طائلة ، متجاهلة أوضاع البلاد العصبية ، لذلك عزمت الحكومة الجزائرية على وضع حد لهذه المبالغاة، وأوعزت إلى الحامية المتواجدة بمدينة عنابة تخريب الحصن وبحجز موظفيه ، ومنه فإن هذا العمل سواء على المستوى الرسمي

¹ ابقاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1982 ، ص ص 13 - 20.

مجسدا في الباشا والديوان أو على المستوى المحلي (الشعبي) فهو رد فعل طبيعي من وجهة نظر الباحثة ضد أقلية أجنبية بالغت في استغلالها لخيرات البلاد ولم تحترم النصوص والاتفاقيات ومهما يكن فإن المنازعات بين فرنسا والولاية لم تتوقف تقريبا طوال القرن السابع عشر ، خصوصا بعد وصول لويس الرابع عشر إلى الحكم في فرنسا ، فبمجرد توطيد مركزه أصبحت سياسته اتجاه إيالة الجزائر تهدف إلى محاولة القضاء عليها ، وتحطيمها عن طريق الحملات البحرية و التدخل المسلح وأصبحت الحرب ميزة العلاقات الجزائرية الفرنسية¹.

1 - حملة بوفورت على جيجل 1664م : وكانت ردة فعل انتقامي للنشاط البحارة الجزائريين ففي فترة قصيرة سبعة أشهر قبل أفريل 1661م استولى الجزائريون على زهاء مليونين من البضائع و30 سفينة و500 أسير. وكان الملك لويس 14 يريد الحصول على امتيازات خاصة لدى حكومة الجزائر وتوجيه النشاط البحري الجزائري ضد دول أوروبية منافسة لفرنسا وفرض هيمنة هذه الأخيرة على حوض المتوسط .

لقد سبق عملية الاحتلال إرسال الجاسوس كلير قيل في خريف 1661م لتعرف على أسهل وأهم المناطق في سواحل الجزائر وتم الاتفاق على مدينة جيجل. انطلقت الحملة في شهر جويلية 1664م وتشكلت من 60 سفينة حملت 4650 مقاتل من قوات البرية مدعمة ب800 جندي من قوات البحرية إضافة إلى قوات أوروبية عدت بمئات المقاتلين، تمكنت هذه القوات من احتلال المدينة بعد معركة دامية كلفت 400 قتيل من الطرفين. وقد غمرت فرحة الانتصار العابر سكان وتجار مرسيليا . وقام الآغا شعبان في شهر أكتوبر بتجهيز عشرة آلاف من الجنود تمكنوا من اقتحام مدينة جيجل وفرت القوات الفرنسية تاركة ورائها مدافع وذخائر وحوالي 1400 أسير وكان لهذه الحملة والهزيمة أثرها على العلاقات العثمانية الفرنسية .

قامت فرنسا سنة 1665م بقصف مدينتي الجزائر وشرشال ، وفي 17 ماي 1666م عمدت فرنسا الى إبرام معاهدة مع الجزائر هدفها تصفية المشاكل العالقة بين البلدين وتضمنت 12 بندا وهي أول معاهدة تتناول القضايا المتعلقة بالجالية الفرنسية في الجزائر

¹ عياشي بلقاسم ، المرجع السابق ، ص ص854-855 .

ونتيجة لها تم فدي 1127 أسير فرنسي. ولتدعيم عرى الصداقة أرسل لويس 14 مع القنصل بسنة آلاف فرنك ليوزعها على الباشا وحاشيته لقطع العلاقات مع هولندا وانكلترا التي أرسلت مساعدات قدرت ب30 سفينة الى الجزائر لتوثيق العلاقات معها. وبعد وصول الدايات إلى الحكم في الجزائر أصيبت العلاقات الودية بين البلدين بتصدع ، فقد وضعت الجزائر شروطا لإقامة سلام وصداقة دائمة بينهما ، وبالفعل بدأت البحرية في احتجاز عدد من الفرنسيين المخالفين للشروط المتفق عليها.

2 - حملة ديستري على مدينة الجزائر في 26 جوان 1688م:

تذرت فرنسا لإعلان الحرب على الجزائر بسماع حكومتها بيع غنيمة فرنسية من طرف احد بحارة مدينة سلا المغربية فأمر الملك بمطاردة السفن الجزائرية ، انطلق الأميرال ديستريس على رأس حملة قوامها 44 سفينة وبدأ في 01 جويلية بقصف مدينة الجزائر واستمر 26 يوما وتجاوزت الخسائر المادية 9200 مبنى وراح ضحيتها عدد كبير من القتلى جزائريين وفرنسيين. ورغم ذلك فقد اضطرت فرنسا الى تعويض سفينة أحد الرياس وتقديم العتاد الحربي للجزائر منها أربعة مدافع وأكثر من تسعة آلاف قنبلة¹.

3 - القطيعة واعلان الحرب 1682 م : كانت حادثة 1679م سببا مباشرا في ذلك عندما اعترضت سفينة فرنسية عدد من الجزائريين افلتوا من قبضة الأسر الاسباني ، واستخدموا في عملية السخرة داخل السفينة ولم يفرج عليهم ، وظلت المسألة عالقة مدة ثلاث سنوات قرر الديوان في 18 أكتوبر 1681م نقض السلام مع فرنسا واعلان الحرب ضدها وحقت البحرية الجزائرية غنائم معتبرة في مدة وجيزة. وكان أحد السفن تابعة للبحرية الفرنسية بيع قائدتها في المزاد كانت حجة لفرنسا لمهاجمة مدينة الجزائر ، وقد تمكنت الجزائر من إبرام معاهدات مع هولندا 1680م وانكلترا 1682م لتزويدها بالمدافع والأسلحة والذخائر والعتاد .

جهزت فرنسا حملة كبيرة قوامها 60 سفينة بقيادة دوكين انطلقت في 12 جويلية 1682م وقامت بقصف مدينتي شرشال والجزائر نجم عنها خسائر فادحة في الأرواح والعمران ، وقد تصدت القوات الجزائرية للحملة وألحقت بها خسائر كبيرة . وقام دوكين بحملة ثانية

¹ صالح فركوس، 2002 ، ص ص 139 - 140.

في جوان 1683م قوامها 21 سفينة تحمل أربعة آلاف مقاتل كبدت سكان المدينة خسائر معتبرة ، فقبل الداوي بابا حسن التفاوض مع الفرنسيين وقبل بالشروط المجحفة التي فرضوها وكانت عاقبته الإطاحة به واستطاع الداوي الجديد حاجي حسين "ميزو مورطو" مواصلة المعركة وكانت نتيجتها أكثر من 2000 مسكن مدمرة ، وتم قتل القنصل الفرنسي لوفشر وعدد من الرعايا الفرنسيين . ورغم الخسائر فإن الحكومة الجزائرية لم تطلب الصلح¹.

إبرام الصلح : اضطرت فرنسا الى عقد الصلح مع الجزائر بعد فشل حملتها وقام الأميرال دوترقيل بالتفاوض وتم إبرام معاهدة الصلح في 25 افريل 1684م وقد تضمن 29 بنداً نصت على أن يكون الصلح بين البلدين لمدة مائة عام. وأرسلت الجزائر بعثة وقابلت الملك لويس 14 وتبادلا الطرفان الهدايا ووثقا العلاقات بين البلدين.

4 - الحملة الفرنسية على الجزائر 1830م :

* وتعود مشاريع الحملة الفرنسية على الجزائر الى عهد نابليون فبعد عودة السلام بين الجزائر وفرنسا سنة 1801م رجعت فرنسا الى امتيازاتها في الجزائر لكن العلاقات ما لبثت أن توترت بين البلدين فقد احتجزت الجزائر سفينتين فرنسيتين وضربت أخرى فطالب نابليون بالتعويض ومعاقبة المذنبين. وبدأ يخطط للقيام بحملة عنيفة لكنه تخلى عنها وأرسل رسالة تهديد للباشا يطالبه بالتعويضات ويعلمه برفضه تسديد المبلغ الذي يطالب به 200000 فرنك . وفي سنة 1805م اضطرت فرنسا رغم تعنتها لدفع مبلغ 80000 فرنك للباشا أحمد حتى تم إطلاق سراح 231 أسير ، وفي 1807م سحببت الجزائر الامتيازات الفرنسية السابقة ومنحتها لانكلترا وكاد الحدث يؤدي الى حرب بين الدولتين ووصل الضابط بوتان في 24 ماي 1808م لدراسة خطة إنزال القوات الفرنسية في منطقة سيدي فرج غير المحصنة ، ولكن انشغال نابليون بالحرب في أوروبا وهزيمته في 1814م جعل مشروع الحملة يتأخر لفترة .

¹ عائشة غطاس ، العلاقات الجزائرية الفرنسية (1619 - 1694)، رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر، الجزائر، 1985 ، ص 65 .

* وبعد مؤتمر فيينا عينت فرنسا قنصلا جديدا لها في الجزائر وهو بيير دوفال في 28 أوت 1815م وقد حمل الى الباشا هدايا ثمينة قدرت ب112924 فرنك وفي مقابل ذلك أعاد الباشا الى فرنسا في 17 مارس 1817م الامتيازات التي فقدتها وخفضت الضريبة السنوية المقررة من 300000 ألف الى 118000 فرنك. لكن تولى الداوي حسين الحكم طالب فرنسا بتسديد الدين له شخصيا واتهم القنصل دوفال بإخفاء رد حكومته وطلب منها بإرسال قنصل جديد لكن رد فرنسا كان إرسال القطع الحربية الى الجزائر وبقرار من مجلس الوزراء في افريل 1827م تم فرض الحصار الذي انتهى بالحملة الفرنسية على الجزائر في 1830م¹.

بعد حادثة المروحة الشهيرة التي وقعت يوم عيد الأضحى في 29 ابريل 1827 والتي أدت الى زيادة القطيعة بين البلدين ، أعلنت فرنسا فرض الحصار على الجزائر بداية الحصار في 16 جوان 1827م ، أما الداوي حسين فقد أمر من جهته باي قسنطينة بالاستيلاء على المنشآت الفرنسية الواقعة في شرق البلاد .

في جلسة 30 جانفي 1830 قرر مجلس الوزراء الفرنسي القيام بحملة ضد الجزائر وفي 7 فيفري أقر الملك شارل العاشر وأصدر مرسوما ملكيا بتعيين الكونت دي بورمون قائدا عاما للحملة والأميرال دوبيري قائدا للأسطول ، وقد بدأت الاستعدادات الحثيثة لتنفيذ المشروع²، وقد تولى قيادة الجيش الجزائري بعد يحي صهر حسين باشا وهو الأغا ابراهيم في أوت 1829م وقد كان عاجزا على أداء مهمته فهو لم يكتف بعدم القيام بأية استعدادات لصد العدوان بل إنه عارض اقتراحات زملائه أمثال الحاج أحمد باي بوجوب مقاومة العدو في حرب مناوشات وليس في حرب مواجهة. وأخيرا حدثت معركة اسطاويلي في 19 جوان 1830م التي هزم فيها الطرف الجزائري ومع تراجع المقاومة الجزائرية واصرار دي بورمون قبول اقتراح حسين باشا على الاستسلام وبعد التفاوض ومراجعة الباشا وقعت المعاهدة التالية يوم 5 جويلية 1830 :

¹ أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، المرجع السابق، ص ص 19 – 25 .
² أحمد بو نراع : الحملة الفرنسية على الجزائر دراسة عسكرية ، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية ، المجلد الرابع العدد الثالث ، جويلية 2022 ، ص ص 77 – 82 .

- تسلم قلعة القصبة وكل القلاع الأخرى المتصلة بالمدينة والميناء للجيش الفرنسي على الساعة العاشرة .
- يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي أمام سعادة باشا الجزائر أن يترك له الحرية وكل ثرواته الشخصية.
- سيكون الباشا حرا في أن يذهب هو وأسرته وثرواته الخاصة الى المكان الذي يقع عليه اختياره ، فإذا فضل هو وأسرته تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي وسيعين له حرس لضمان أمنه الشخصي وأمن أسرته.
- يتعهد القائد العام لكل الجنود الانكشاريين بنفس المعاملة ونفس الحماية .
- سيظل العمل بالدين الإسلامي حرا ، كما أن حرية السكان مهما كانت طبقتهم ودينهم وأموالهم وتجارتهم وصناعاتهم لن يلحقها أي ضرر ، وستكون نساؤهم محل احترام ، وقد التزم القائد العام على ذلك بشرفه¹.

المحاضرة السابعة

العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا

عند مقارنة العلاقات بين الجزائر والدول الأجنبية تجد أن علاقات فرنسا بالجزائر كانت على العموم طيبة ، فمنذ القرن 16م كانت فرنسا تتمتع في الجزائر بامتيازات تجارية خاصة ، فكان لها مؤسسات تجارية في عنابة والقالا ورأس بونة والقل . وكانت هذه المؤسسات تدفع ضرائب سنوية متفق عليها الى الباشا والى باي قسنطينة (الذي تقع هذه المؤسسات في إقليمه) من جهة أخرى ، وكانت فرنسا في مقابل ذلك تتمتع بحق صيد المرجان وتصدير الحبوب الى أوروبا .

ارتبطت الجزائر وفرنسا منذ بداية العصر الحديث بالميدان التجاري، وقد سيطر هذا العامل على العلاقات بين البلدين فترة من الزمن، فسار بها نحو إتباع سياسة مرنة وذلك حفاظا على استمرارية التعاون بين الطرفين².

¹ ابوالقاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3 ، المرجع السابق ، ص ص 42 -

45.

² محمد زروال ، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1591 - 1830، دار دحلب للطباعة ، الجزائر ، دت ، ص 12 .

وعليه فالعلاقة بين الجزائر وفرنسا علاقة قديمة نسبيا قبل الحكم التركي، وقد كانت علاقة تجارية بحثة، و بعد أن دخل الأتراك الجزائر، وأقاموا حكومتهم بها، تطورت العلاقات مع فرنسا فأصبحت تجارية، سياسية، حربية وكانت على مدى القرون الثلاثة التي حكم فيها الأتراك الجزائر تتأرجح بين السلم والحرب حسب ميزان القوى في البحر المتوسط وحسب مصالح كلا الطرفين.

وتعود العلاقات الجزائرية الفرنسية إلى القرن السادس عشر أي في عصر البايبربايات وهذا كنتيجة للعلاقات الطيبة التي كانت بين الخلافة العثمانية وفرنسا، وهذا بسبب عدا الأتراك والجزائريين التقليدي للإسبان هذا من جهة، وتنافس فرنسا التقليدي حول مشاكل القارة ووراثه العرش الإسباني، زيادة على تكرار اعتداءات شرلكان الإسباني على الشواطئ الفرنسية لقد استطاعت فرنسا أن تستغل في عصر البايبربايات الصداقة التي تربطها بالدولة العثمانية، ففي عام 1561 حصلت من الباب العالي على إذن لصيد المرجان في سواحل عنابة (الشرق الجزائري)، كما حصلت منذ عام 1578 على حق صيد المرجان في خليج الشتورة (سطورة) وهذا الامتياز لا يشكل في حد ذاته عنصرا جديدا في العلاقات الجزائرية الأوروبية، إذ نجد أن أمير بجاية والسلطان الحفصي أبي عبد الله منحاً للجنوبيين امتياز اصطياد المرجان على السواحل الشرقية الجزائرية¹، وأن المرسيليين قد حصلوا على هذا الامتياز من على شيوخ منطقة عنابة مقابل عوائد يدفعونها، كما حصلت فرنسا على حق تعيين قنصل لها في مدينة الجزائر عام 1578، وقد كان كلا الامتيازين ضمن الأسباب التي أدت إلى توتر العلاقات بين الولاية وفرنسا في أواخر عصر البايبربايات، ذلك لأن شركة لنش التي تولت إدارة امتياز صيد المرجان لم تقتصر على صيد المرجان، وإنما تعدته على تصدير الحبوب، وإلى بناء حصن في شرق مدينة عنابة أطلقت عليه اسم " حصن فرنسا" غير أبهة نصوص الاتفاقية².

¹ جمال قنن، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500 - 1830)، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1987، ص 42.

² محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 193.

الموانئ : تكاد العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا تنحصر أساسا بين موانئ جنوب فرنسا وموانئ بايلك الشرق حيث تمركزت المؤسسات الفرنسية ، وكان للجزائر عدد من الموانئ وهي من الغرب الى الشرق حنين ورشقون والمرسى الكبير ووهران ومازاگران ومستغانم وتنس وشرشال والجزائر ودلس وبجاية وجيجل والقل واستورة وعنابة ومرسى الخرز (القاله) . فميناء الجزائر شهد ازدهرا واستمر توافد التجار الأوربيين اليه وشكل التجار الفرنسيون عنصرا هاما في ذلك النشاط ، أما ميناء بجاية لم ينل شهرة واسعة بسبب فقر المنطقة ، أما ميناء جيجل فكان من أهم الموانئ في تصدير الشعير والشمع والجلود وكان مقصدا للتجار الفرنسيين ، ميناء القل كان مركزا هاما للصادرات الجزائرية نحو مرسيليا ، وميناء عنابة يعد من أهم مناطق التصدير نحو فرنسا خاصة بعد 1560م نظرا لغنى المنطقة بالمحاصيل الزراعية والأخشاب والمرجان مع وجود المؤسسات الفرنسية .

وتمثلت موانئ الجنوب الفرنسي في ميناء مرسيليا لعب دورا كبيرا في تجارة البحر المتوسط وعرف بباب الشرق منذ مطلع القرن 16م وأصبحت مرسيليا منذ 1669م صاحبة الاحتكار الكلي للتجارة ، ميناء طولون كان له دور كبير في التجارة المتوسطية ، ميناء كاسيس كانت مساهمته في المبادلات التجارية ضعيفة ، ميناء سيوتات اختص في تأجير سفن النقل¹.

الصادرات الجزائرية: تمثلت الصادرات الجزائرية نحو فرنسا في المحاصيل والمواد التالية:

المرجان : عرف صيد المرجان منذ فترات سابقة وأخذ أهمية بالغة في العصر الحديث وسعت الشركة الفرنسية لاحتكار صيد المرجان في شرق الجزائر فكانت توفر التجهيزات وتدفع مسبقا لقائد السفينة مائتي بياستر وقدّر عدد سفن ب40 سفينة وتستمر عملية الصيد من مارس الى غاية سبتمبر من كل عام ، وقدرت الكميات المستخرجة سنويا بحوالي 25 قنطار لكل سفينة وتصل الكمية الإجمالية إلى حوالي ألف قنطار . ويقوم الصيادون ببيعه للشركة بمقدار 58 قرشا للرطل الواحد ويوضع في صناديق تتسع الى 130 رطل وينقل

¹ جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 – 1830 ، المرجع السابق ، ص225 .

جزء منه الى مرسيليا حيث يباع الصندوق ب300 بياستر وتكون الفائدة المحصلة كبيرة. وهذه الإحصائيات تبرز تطور مكانة تصدير المرجان الى فرنسا ففي سنة 1559م قدرت الكمية المصدرة ب21748 رطلا لتصل إلى 24000 رطلا سنة 1707م لتتخفض الى 6370 رطل سنة 1791م وهي تشهد ارتفاعا وانخفاضا حسب السنوات ، وقد عرف إنتاج وتصدير المرجان انخفاضا ملحوظا خلال القرن 18 م ويرجع ذلك لتراجع أهميته . الجلود: تعتبر الجلود عنصرا هاما في الصادرات الجزائرية نحو فرنسا ومما سعد على الاهتمام بها أنها لم تكن محظورة وتخضع فقط لضريبة حق القايد التي تقدر ب10 بالمائة و اشتهرت بتصدير الجلود بجاية والقل وعنابة والقالة والحصن².

وقدرت الكميات المصدرة سنويا 20 ألف جلد كل من عنابة والقل والحصن بثلاثة آلاف جلد والقالة بستة آلاف جلد . كما ساهم ميناء الجزائر في تصدير الجلود وقدرت الكمية المصدرة خلال القرن 18م ما بين 20 ألف و 25 ألف جلد سنويا . وكان مصدر الجلود متنوعا خاصة الأبقار وقد حققت الشركات الفرنسية من تجارته أرباحا طائلة فسعر الجلد الواحد قدر بأربع ريالات .

الحبوب : القمح : نظرا لأهمية كانت المؤسسات الفرنسية في الجزائر حريصة على توفير كميات كبيرة من القمح وقد ساهمت معاهدة 1679م في زيادة تصدير القمح ، وفي سنة 1714م سمحت الجزائر بتموين فرنسا بالقمح وأهم شركة فرنسية نشطت في هذا المجال شركة لنش بسبب وفرته وانخفاض سعره حيث قدر سعر الكيلة الواحدة المحلية ب02 بياستر ، وقرت الكمية المصدرة خلال الفترة 1575م – 1597م ب 377413 كافي ويعدل الكافي الواحد 120 كلغ وقدّر سعره بسبع ريالات . أما الكمية المصدرة خلال سنوات القرن 17م عن طريق المؤسسات الفرنسية عبر موانئ عنابة والقالة والحصن تراوحت ما بين 1800000 صاع و 2160000 صاع .

1 عائشة غطاس ، العلاقات الجزائرية الفرنسية... ، المرجع السابق، ص 105 .

2 عائشة غطاس ، العلاقات الجزائرية الفرنسية... ، المرجع نفسه ، ص 111 .

الشعير : اشتهرت مناطق كثيرة بإنتاج الشعير ويصدر من عدة موانئ فمركز الحصن يصدر حوالي خمسة آلاف قيسة ومن القالة نحو ستة آلاف قيسة ومن رأس وردية ألف قيسة.

القول : يصدر بكميات معتبرة نحو فرنسا فميناء القالة يصدر حوالي أربعة آلاف قيسة ومركز الحصن حوالي ألفين قيسة ومن رأس وردية 300 قيسة سنويا وقدّر سعر القيسة بحوالي واحد بياستر.

الصوف : كانت الكميات المصدرة قليلة نظرا لحاجة السكان للصوف وأهم مناطق تصديره ميناء عنابة حوالي 400 قنطار وكميات أخرى من ميناء القالة وظلت الكميات المصدرة منخفضة خلال الفترة 1582م - 1594م قدرت الكميات المصدرة ب 60 ألف رطل¹.

الشمع: نتيجة لندرته والحاجة اليه لم يسمح بتصدير الا كمية قليلة فمن ميناء عنابة والقل يخرج حوالي 400 قنطار سنويا وكانت مساهمة ميناء القالة مائة قنطار، وتراجعت الكميات المصدرة من الشمع خلال القرن 18م حيث قدرت ب 169 قنطار سنة 1791م وتراوح سعر القنطار من الشمع ما بين 16 و 20 بياستر².

الخيول: لا يتم شراء وتصدير الخيول الا برخصة خاصة وهو مرتبط بحالة العلاقات السائدة بين البلدين، وكان القرن 16م من أكثر الفترات التي شهدت صادرات الخيول الى فرنسا ، كما كانت الخيول تقدم كهدايا في فترة تحسن العلاقات . بعد سنة 1689م سمح لأحد المتعاملين ويدعى دوزو بشراء الخيول . وأهم مناطق تصديرها منطقة الحصن وتخضع عملية التصدير لضريبة تصل الى خمس سعر الخيول.

الواردات : وتمثلت أساسا في السلع الكمالية والأثاث الفاخرة من ثريات وأقمشة حريرية وصوفية والجوخ والقطيفة والرخام والزجاج وهي بضائع اقتصر استعمالها في تزيين القصور وارتداء الملابس الفاخرة واستخدامها في الصناعات المحلية مثل الطرز وصناعة الأحزمة ، كما شكلت مواد التموين والذخائر الحربية والأخشاب لصناعة السفن من أهم

¹ عائشة غطاس ، العلاقات الجزائرية الفرنسية... ، المرجع نفسه، ص 119 - 121 .

² جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 - 1830 ، المرجع السابق ، ص ص 222 - 225 .

الواردات ، ومن ضمن المواد المستوردة أيضا القهوة والسكر والجبن والعسل والفواكه المجففة والبندق والقسطل والصابون والورق ، وبعض المواد يتم تهريبها مثل مسحوق البارود والبنادق من مرسيليا¹.

وخضعت هذه المواد المستوردة لنظام جمركي محكم حيث يتم جرد حمولة السفينة ويدفع كل تاجر ضريبة متنوعة قدرت بـ 18 بالمائة من قيمة الحمولة كما يقدم قائد السفينة الى الترجمان قفطان أو مايعادل 35 دوبلا وهدايا ومبالغ أخرى لموظفي وعمال الميناء. أما قيمة الضرائب على المواد المستوردة فقد اختلفت حسب نوعها ومناطق توريدها اذ يؤخذ 06 صيمات على قنطار القهوة والفلفل الأكل وأما البرود فيؤخذ عليه ثلاث صيمات على القنطار. والملاحظ أن حجم الواردات خلال القرن 17م عرف ارتفاعا نتيجة لزيادة الحاجة والمطالب مقارنة بالفترات الأخرى ، وأيضا أن نسبة كبيرة من الواردات موجهة للفئات والطبقة الميسورة وقليل منها استفادت منه الصناعة المحلية ، كما أن قيمة وحجم الواردات كان ضئيلا أمام قيمة وحجم الصادرات².

ومن العوامل التي أثرت سلبا في المبادلات التجارية بين البلدين نجد انتشار الوباء والمجاعة حيث تعمل الحكومات على غلق موانئها في وجه السفن ففي خلال سنوات القرن 17م مثل 1605م ، 1622م ، 1647م ... 1693م عرفت الجزائر انتشار الأوبئة المختلفة وفرنسا كذلك أصابها الوباء مثل وباء 1625م ، 1649م ... وأيضا قرارات الحكومة الفرنسية التي تحد وتمنع من المتاجرة مع الجزائر مثل قرارات 1607م و1621م و1631م ، كما أن القرارات الملكية بمنع الأسفار التجارية تجنب لمخاطر سفن المعادية أثرت سلبا مثل القرار الذي صدر عن الملك لويس 14 في 1682م و1695م . يستنتج مما ذكر أن حركة التصدير ظلت متواصلة رغم تصدع العلاقات السياسية بين البلدين ، وكان القرن 17م من أزهى الفترات في العلاقات التجارية ، وقد ساهمت المواد المصدرة في ازدهار الصناعة الفرنسية.

¹ أرزفي شويتيام ، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1519م - 1830 ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2005/2006 ، ص ص 247 - 248 .

² جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 - 1830 ، المرجع السابق ، ص ص 225 - 230 .

التجار الجزائريون : كانت مساهمة التجار الجزائريين في المبادلات التجارية بين البلدين محدودة باستثناء التجار اليهود الذين كانت لهم دور بارز في هذا النشاط ، ويمكن تفسير ذلك بوجود عدة عراقيل تمثلت في العراقيل التي كانت تضعها الغرفة التجارية بمرسيليا التي تأسست سنة 1599م أمام التجار المسلمين مثل غلق الميناء والحجر الصحي طويل المدة وكذلك القرصنة الأوروبية وحتى الفرنسية المتربصة بالسفن الإسلامية مما اضطر التجار الى استئجار سفن فرنسية و أما العوائق فيمكن إيجازها التأخر التقني الذي يخص القضايا المالية وقضايا التنظيم وعدم القدرة على تشكيل الشركات التجارية والابتعاد عن التعامل بالربا وعدم القدرة على التواصل مع المجتمع الفرنسي في مرسيليا التي لم تمنح أي خدمات وتسهيلات كافية تخص التجار المسلمين اضافة الى الضرائب المفروضة على السفن التي قدرت ب20 بالمائة من قيمة الحمولة وضرائب أخرى على أن أكبر عائق أمام التجار تمثل في احتكار الحكومة الجزائرية للمواد الأساسية وقلة عدد السفن التجارية الجزائرية وكذلك ضعف القدرة المالية نتيجة لذلك كان معظم التجار الجزائريين من اليهود مثل بن جامان ، كيان ، موسى ، باروخ ، جوزيف ، ابراهيم ، لوساد كان لهم نشاط كبير نهاية القرن 17م¹.

التجار الفرنسيون : يمكن تمييز نوعين من التجار تجار خواص لا تربطهم اتفاقيات بالحكومة الجزائرية والشركات التجارية يعود توافد التجار العابرين للبيع والشراء بموانئ الجزائر إلى القرن 16م وكان جلهم من مرسيليا ، أما التجار المقيمين بالجزائر فكان عددهم قليل نظرا للمعاملة القاسية التي تعاملت بها الحكومة الجزائرية في بعض الأوقات والشروط التي كانت تضعها فرنسا للحد من عدد التجار في الخارج ، ولم تكن لغة التخاطب عائقا في سبيل التجار الفرنسيين كما ضمنت لهم معاهدات 1666م و1684م كثير من الخدمات والتسهيلات الدينية والقضائية والجمركية ويقطن الفرنسيون بحي خاص بجوار القنصل في الجزائر وفي فندق خاص في عناية والقالة ومدن أخرى.

¹ عائشة غطاس ، العلاقات الجزائرية الفرنسية... ، المرجع السابق ، ص ص 125 - 126 .

الشركات التجارية : وقد توارث حق الاحتكار المطلق للتجارة الخارجية عبر موانئ الشرق الجزائري ويعتبر توماس لنش أول من حصل على احتكار صيد المرجان سنة 1552 م فأسس في مرسيليا شركة المرجان الكبرى لمياه عذبة ، وقد تضمن الاحتكار صيد المرجان وإنشاء متاجر ووكالات تجارية على امتداد 200 كلم شرق الجزائر وتقديم ضريبة سنوية مقدرة بـ 1500 ايكو الى الحكومة الجزائرية واشتمل احتكارها معظم المواد والبضائع¹.

واتخذت شركة لنش مرسى الخرز ملجأ للسفن وعرفت المنشآت وما حولها بالحصن " البستيون " أو المؤسسات الفرنسية وكانت محمية بالتحصينات والمدافع بداية من سنة 1568م. واقتصر نشاطها في البداية صيد المرجان وتصريفه في الخارج وجلب مواد مصنعة وبيعها محليا ، واتسع نشاطها وأصبحت متاجرها مقصدا للتجار وتعاملت الشركة نقدا ومقايضة مع السكان والتجار ، ورغم الأرباح التي حققتها الشركة فإنها كانت تماطل في دفع الضرائب المفروضة عليها ، وكانت تستغل المنطقة وتحتكر بيع الحبوب حتى في الأوقات الصعبة كما حرمت عدة قبائل من حق ممارسة صيد المرجان ، فقامت الحكومة الجزائرية بهدم الحصن وصدر أمر ملكي في ديسمبر 1607م بإنهاء نشاطها. وبعد فشل عدة محاولات لإعادة نشاط المؤسسات الفرنسية تمكن سانسون نابولون من التوصل إلى إعادة السلام والعلاقات التجارية وإبرامه لأول اتفاقية بشأن نشاط المؤسسات بتاريخ 29 سبتمبر 1628م فتم تنظيم إدارة رأس الوردية والقالبة والحصن بموظفين وعسكريين وعمال وفي الجزائر عين وكيل يمثل مصالح التجارة الفرنسية وتقديم ضريبة الزمة المتفق عليها الى الخزينة فازداد نشاط المؤسسات وبلغ عدد الجالية الفرنسية في الحصن 800 لكن فترة الازدهار تراجعت بعد وفاة نابولون وأخيرا أمر الباشا علي بهدمه وحجز موظفيه في 1637م.

شركة كوكيال وبيكي: مكنت معاهدة السابع من جويلية 1640 الشركة من إعادة النشاط التجاري ، وتناولت 23 بندا وخصت الحصن والمتاجر في شرق الجزائر للممارسة صيد المرجان والمتاجرة في معظم السلع والتزمت الشركة بدفع 34000 دوبلو كضريبة

¹ جمال قنن ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 – 1830 ، المرجع نفسه ، ص 234 .

للحكومة الجزائرية وبعد نجاح تعرضت الشركة بعد وفاة مؤسسها الرئيسي كوكيال لتعثر وخسائر وأنهت نشاطها في أكتوبر 1658م¹.

شركة أرنو: بعد سلام 17 مارس 1666م أعيدت العلاقات التجارية بين البلدين ومنح التاجر أرنود امتياز استغلال المؤسسات في 21 جوان 1666م. وفي 08 أوت عقد أرنو اتفاقا مع ورثاء دوكيز لاستغلال المؤسسات خلال 29 سنة، كما اتفق مع حكومة الجزائر في 22 مارس 1670م على الامتياز الممنوح له، مرت الشركة بصعوبات جراء الخلاف بين الشركاء لكنها بقيت تنشط الى غاية وفاة أرنو 1676م.

شركة لافون: أنيطت ادارة المؤسسات الى لافون 1676م لكنه أساء التصرف ولم يفي بالديون فاحتج الباشا عليه وسجنه 1678م، ولم تعد الشركة قادرة على مواصلة نشاطها فأمر الملك لويس 14 بإلغائها.

شركة دوزو: استطاع دوزو أن يعقد معاهدة مع الديوان في 11 مارس 1679 تضمنت 13 بندا لتسهيل التجارة بين البلدين منها تصدير الحبوب وتعهد بدفع الضريبة المترتبة، واتسع نشاطها ليلبلغ 8 سفن وانتقل مركزها الأساسي من الحصن إلى القالة ورغم توتر العلاقات بقي نشاطها الى غاية جويلية 1683م.

شركة هيلي: بعد انقطاع تأسست شركة هيلي ضمت تسعة مساهمين فرنسيين وفي 01 جانفي 1694 وافق الداوي أحمد شعبان على شروط إعادة المؤسسات ضمت المعاهدة 15 بندا تعهد الشركة بدفع مستحققاتها المالية واعتبرت أساسا للمعاهدات التالية التي نظمت العلاقات التجارية بين البلدين وجددت أكثر من مرة الى غاية 1754م، وبفضلها أبعدت المنافسة الانجليزية واستمر تدفق الحبوب على فرنسا².

شهدت الامتيازات الأفريقية منذ بداية القرن 18م تحسنا كبيرا في إدارة نشاطها واستقرار معاملاتها، حيث توالى على الإشراف عليها عدد من المسيرين امتازوا بالكفاءة وحسن التسيير، والتي انعكست على مردودية نشاطاتها من الناحية المالية واتساع معاملاتها التجارية، حيث لم تعد مقتصرة على السلع المحتكرة تقليديا، وانما امتدت لتشمل أيضا

¹ جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 - 1830، المرجع نفسه، ص ص 233 - 235.

² جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 - 1830، المرجع السابق، ص ص 235 - 236.

سلعا أخرى ، وخاصة القمح الذي يزداد الطلب عليه سنة بعد سنة منذ بداية القرن ، ففيما بين سنتي 1701م و1709م كان معدل ما صدرته الامتيازات الإفريقية من القمح في اتجاه مرسيليا مائتي ألف قنطار في السنة .

سجلت الامتيازات الأفريقية على عهد شركة أفريقية الملكية ازهى فترة وأكثرها ازدهارا في تاريخها ففي قطاع صيد المرجان انضبطت العلاقات بين الصيادين والشركة وتقننت مما وفر لها الاستقرار والنمو المطرد ، يقوم بالصيد 25 مركبا في المعدل سنويا ، ويتكون طاقم كل منها من سبعة أشخاص ، يقدر محصول كل مركب من المرجان خلال الموسم ما بين 20 و25 قنطارا والمحصول الاجمالي في كل موسم يبلغ في المتوسط حوالي 26 طنا من المرجان ، تضع الشركة من جهتها تحت تصرف الصيادين مراكب الصيد بتجهيزاتها الضرورية ، كما توفر لهم المواد المعاشية والمأوى بسعر ثابت متفق عليه وفي المقابل فان الصيادين يبيعون للشركة ما يستخرجونه من المرجان ، وقد حققت أرباحا كبيرة .¹ لقد استمرت هذه الامتيازات قائمة وفي مارس سنة 1817 تم إعادة الامتيازات لفرنسا بعد حملة اللورد اكسموث على الجزائر 1816م ، ونتيجة للبرودة العلاقات بين فرنسا والجزائر بسبب قضية الديون فكرت الجزائر في حرمان الفرنسيين من الامتيازات ، وفي 29 جويلية توصل الطرفان الى إعادة العمل بالاتفاق السابق في مجمله ، مع تخفيض محدود في مبلغ الإتاوة الإجمالي المقدّر الآن ب 240 ألف فرنك بدل 300 ألف فرنك مع بعض الشروط التي فرضتها الجزائر وقد صادقت باريس على هذه التسوية دون تردد.²

العملة : اتصفت العملة بتنوعها وتعددتها فضية وذهبية ونحاسية محلية وأجنبية، ففي القرن 17م راجت العملات المحلية التالية : البوربة ، الأسبر ، الدوبلو ، الريعي ، المديان ، الزيانى ، الموزونة ، الصايمة ، الثمينو أما العملات الأجنبية فنجد : السلطاني الذهبي ،

¹ جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 - 1830 ، المرجع السابق ، ص ص 244 - 245 .

² مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 م ، ط 1 ، ج 1 ، الجزائر، دار البعث ، قسنطينة ، ص 190 .

مورتيكال الفاسية ، السلطاني المغربي ، و عملات هولندية واسبانية مثل البايستر ،
الدوبلون ، الباتاك ، الريال 1 .

و خلاصة القول أن عدد التجار كان قليلا كما كانت الاتفاقيات التجارية المبرمة
لصالح تجار فرنسا وقد وقف التاجر الجزائري عاجزا أمام العراقيل التي اعترضت سبيل
تجارته . كما انفردت الشركات الفرنسية بتجارة بايلك الشرق الخارجية وقد أخذت
بعهودها ، كانت هذه الشركات تتعامل مع أطراف أجنبية في تجارتها ، لم تستفد الجزائر
كثيرا منها رغم الأرباح التي حققتها هذه المؤسسات ، إن فشل هذه الشركات يعود
للخلافات بين المساهمين والأزمات المالية وعدم حماية سلطة الحكومة الفرنسية لها في
غالب الأحيان².

المحور الثالث : علاقات الجزائر مع إنكلترا

لم يكن لإنكلترا أي اتصال مباشر بالجزائر في القرون الوسطى، إذ لا نجد لها أثر في هذه
الفترة ما بين الشعوب الأوروبية التي كانت تربطها بالجزائر علاقات تجارية نشيطة، و
يبدو أن إنكلترا لم تكن تمهت حتى في القرن السادس عشر بما كان يجري في البحر
المتوسط من أحداث، و إنما اتجهت بأنظارها إلى الهند، بيد أن هذا لا يعني أنها لم تقتحم
ميدان التجارة في البحر المتوسط في القرن السادس عشر. بدأت علاقات الجزائر مع
إنكلترا سلمية، إيجابية ، قوامها الود و التعاون، ولئن تخللتها عدة غارات من طرف
إنكلترا إلا أنها في الغالب، كان يسودها الود طوال قرون³.

المحاضرة الثامنة

حملات الانجليز على الجزائر

إلا أن تطور جو القرصنة الأوروبية في ذلك العصر، الذي اندمجت فيه أمريكا أيضا فيما
بعد، و الغارات الصليبية التي قد بدأت من البلدان الكاثوليكية (إسبانيا- فرنسا- إيطاليا –



¹ ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792 - 1830) ، البصائر للنشر والتوزيع ،
الجزائر ، 2012 ، ص ص 193 - 194 .

² جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 - 1830 ، المرجع نفسه ، ص ص 245 - 251 .

³ م . نايت بلقاسم ، 1985 ، المرجع السابق ، ص 181 .

مالطا- البابوية)- كما سبق ثم انضمت إليها فيما بعد البلدان البروتستانتية (إنجلترا- هولندا - الدانمارك- أمريكا...) كل ذلك، دفع إنجلترا إلى أن تدخل هذا الغمار، فقامت بعدة غارات على الجزائر بلغ مجموعها 11 هجمة ، باءت كلها بالفشل الذريع و عادت على إنجلترا بالخسارة الباهضة، و التعويضات المرهقة التي كان عليها دفعها للجزائر¹.
عدا حملة عام 1816 م بسبب استعمال الخدعة في الدخول إلى ميناء الجزائر، وكانت خسائر الأسطول الانكليزي حتى ذلك العام باهظة ، ولم تحقق نجاحات كبيرة أو تمنع دفع الإتاوات لحكام الجزائر مقابل إعطائهم الأمان لدخول البحر المتوسط .

منذ بداية القرن 17 م دخلت الجزائر عهد جديد للغزو البحري بحيث تمكن الجزائريون من أسر 466 إنجليزيا وبالتالي لم تبق أية حصانة للسفن الانجليزية في البحر الأبيض المتوسط ، وصار حينها الأسطول الجزائري يشكل تهديدا كبيرا لسفن دول شمال أوروبا .

1 - الانكليز يحاربون الجزائر:

كان الأسطول الجزائري المحارب يتكون من مائة سفينة ، وكان عدد رجال البحر يفوق 30 ألف مقاتل، أطلق ملك الانكليز جيمس الأول حرية العمل لقراصنته في البحر المتوسط خاصة بعد أن حققوا أرباحا كبيرة من خلال هجماتهم على السفن التجارية الاسبانية والبرتغالية ، و في سنة 1620 م أراد إرغام دولة الجزائر على ترك الحرب البحرية ضد السفن الانكليزية² ، دون أن يعقد معاهدة مع الجزائر يسود بواسطتها السلام .
وجاء الأسطول الانكليزي الى الجزائر ، تحت قيادة نائب أميرال إنكلترا روبرت مانسل وكان يتكون من 18 سفينة حربية وتجارية مزودة بعدد كبير من المدافع ، وتحمل 1500 مقاتل ، وطالب الجزائريين بتسليمه ما لديهم من الأسرى الانكليز ، فرفضوا الإذعان لذلك الإنذار، وبعد أيام لحق به أسطول اسباني يتشكل من ست سفن وأخذ الأسطول يرمي القنابل على المرسى ، وحاول أخذ سفن من أسطول الجزائر ، فلم يقدر على ذلك ، وأنزل رجاله حوالي المدينة قصد إرهاب الجزائريين ، فما استطاعوا أن ينالوا منهم منالا ، وفي ديسمبر غادر الانجليز ميناء الجزائر، وقد فشل التحالف الثلاثي الانكليزي ، الاسباني ،

¹ مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص 183 .

² يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 164 .

الهولندي في تشكيل قوة مشتركة لضرب الأسطول الجزائري وبذلك فشلت الحملة في تحقيق هدفها. كما عرفت الجزائر في عهد محمد باشا حملة إنجليزية أخرى على مدينة الجزائر سنة 1654 م، وانتهت بإطلاق سراح الأسرى الإنجليز مقابل فدية².

2 - الحملة الإنجليزية سنة 1662 م : رفض الإنجليز التوقيع على معاهدة 1660 م ، وللضغط على الجزائريين وحملهم على التراجع ، قررت إنجلترا إرسال قوة بحرية بقيادة الأميرال إدوارد مونتاجو ، كونت دي ساندويتش ، وفي جويلية 1661 م قصف مدينة الجزائر ، وقد وصل السير لاوسون الحرب ضد الجزائريين، وفي أفريل 1662 م هاجم الإنجليز مدينة بجاية واستولوا على أربعة سفن ، وتوجهوا بعدها لمحاصرة ميناء الجزائر³.

3 - الحرب مع الإنجليز 1669 م: لقد ازدادت الهجمات الإنجليزية على الجزائر في عام 1668 م فأمر علي آغا بمطاردة السفن الإنجليزية ، وفي أكتوبر قدم الأميرال توماس آلن إلى الجزائر للمفاوضة بمساعدة القنصل جون وارد الذي خلف نيكولاس باركر لكنيا لم تحقق نتيجة تذكر.

يبدو أن الإنكليز أرادوا استغلال الانتفاضات داخل الجزائر ، فحاولوا الهجوم على الجزائر في خريف 1669 م ، حيث عاد آلن ثانية على رأس 25 بارجة وبعد مباحثات غير مجدية فتح الإنجليز النار على برج المول ، لكن المدفعية الجزائرية نجحت في ردهم على أعقابهم . لكن ذلك لم يمنع الإنكليز من مواصلة الحرب في البحر ضد المراكب الجزائرية ، وكثرت الهجمات وألحقت بها خسائر متعددة الى درجة أن سكان مدينة الجزائر أصبحوا يخشون من هجوم أجنبي ، وامتزجت هذه المخاوف بشعور الثورة على الأتراك ، مما اضطر علي آغا الى توزيع الأموال على السكان وتعزيز الحصون . وفي ماي 1671 م عاد الإنكليز إلى مهاجمة ميناء بجاية وأضرمو النار في ثمانية مراكب راسية واستولوا على ثلاثة أخرى ، وكان رد الفعل في مدينة الجزائر اغتيال الترجمان

¹ ج- ب - ولف، الجزائر و أوروبا ، تر و تع أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986 ، ص 254 - 255.

² صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، 1514 - 1830 ، دار هومة للطباعة والنشر، 2005، الجزائر، ص 127.

³ جمال قنان ، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619 1830)، المرجع السابق ، ص ص 91 - 96 .

الانجليزي ونهب مقر القنصلية وسجن القنصل وكبار التجار. وفي شهر جويلية من نفس السنة هاجموا ميناء الجزائر وأضرموا النار في ثلاث مراكب وأغرقوا مركبا آخر، كما أحدثوا تخريبا في رصيف الميناء. هذه الخسائر التي لحقت بالأسطول الجزائري بسبب هجمات الانكليز وغيرهم أثار سخط طائفة الرياس التي أشعلت فتيل اضطرابات معقدة في الجزائر راح ضحيتها علي آغا وأدت إلى إنهاء نظام الأغوات¹.

4 - غارة نبورغ على مدينة الجزائر 1678 م: قدم أسطول انجليزي إلى مدينة الجزائر بقيادة الأميرال نبورغ سنة 1678 م، حيث قام باستعراض حربي بغية إخافة الداوي وحاشيته، إلا أن المدفعية الموجودة في الحصون الجديدة ردت عليه بالقذائف فابتعد عن المدينة دون تحقيق أي هدف يذكر.

5 - معركة بحرية في 1711 م: بدأت بريطانيا برفع علمها على أكثر السفن الإيطالية والإسبانية، بل أحيانا يرفع على سفن ليس فيها فرد بريطاني واحد، وقد حدثت أزمة حادة عام 1711 م حين أطلق بحار بريطاني النار على سفينة جزائرية، وكانت المعركة بين الطرفين غير متكافئة إذ كانت السفينة البريطانية تحمل 44 مدفعا، في حين كانت السفينة الجزائرية مزودة ب 12 مدفعا فقط، لذلك خسر الجزائريون نصف الطاقم بين قتيل وجريح، وتداركت بريطانيا ذلك بإرسال برقية إلى الداوي علي باشا شلوش (1710 - 1718 م) مفادها معاقبة الضابط المسؤول عن الحادث مع عدد من الهدايا، لتدارك قيام حرب بين الجانبين.

6 - الحملة الانجليزية - الهولندية على الجزائر 1816 م: بادرت هولندا بإرسال أسطولها الحربي إلى الجزائر في شهر جويلية 1815 م، قصد تجديد معاهداتها مع الجزائر، ولكن الداوي عمر باشا رفض التفاوض مع الهولنديين قبل أن تدفع بلادهم الإتاوات المتأخرة وفي تلك الظروف ظهر الأسطول الإنجليزي في ميناء الجزائر عدة مرات².

¹ محمد بن ميمون الجزائري، 1972، ص ص 17 - 18.

² ميلود بلعالية، سياسة بريطانيا تجاه الجزائر (1580 - 1816)، مجلة عصور، المجلد 18 العدد الأول، جوان 2019، ص ص 135 - 137.

لقد اضطر الداي عمر أمام هذه التحركات التي تنذر بالخطر الى بعث رسالة الى السلطان محمود الثاني في 15 ماي 1815 م أخبر فيها بتحركات الأساطيل الأوروبية في البحر المتوسط ، ونوايا الدول الأوروبية السيئة تجاه الجزائر ، وضرورة تعضيد السلطان للجزائر بالجند والسلاح ، ولم يدخر الباب العالي جيذا في تنبيه الايالات المغربية للأخطار التي تحيط بها ، فأرسل مبعوثه ينصح فيها ولائها بالالتزام باليقظة لمواجهة أي هجوم عسكري تقوم به احد الدول الأوروبية وقد ذكر عمر باشا في الرسالة التي بعث بها الى السلطان في 01 جوان 1816 م " أننا سوف نستعمل كل طاقاتنا واهتمامنا للدفاع عن هذا الشعب المسلم الذي هو تحت كفالتنا ، واننا مستعدون للتضحية بأنفسنا دفاعا على ذلك " .¹

وفي أواخر أوت 1816 م اجتمع وزير الخارجية البريطاني اللورد كسلييه مع سفراء كل من روسيا وبروسيا والنمسا وفرنسا في لندن ، وبحث معهم مشروع تكوين حلف عسكري مشترك لمدة سبع سنوات الهدف منه مقاومة الايالات المغربية ولم يكن هدف انكلترا من وراء عقدها لمؤتمر لندن سوى كسب تأييد أوروبي لحملتها العسكرية التي كانت تعد لها وقررت إرسالها إلى الجزائر بالاشتراك مع هولندية . ومن التبريرات التي وجدها انكلترا لحمايتها ضد الجزائر ، أن الجزائريين قد استولوا على سفينة في سواحل عنابة تحمل العلم الانجليزي ، ومن جهة أخرى أسروا رعايا سردينيا ونابولي . وفي شهر ابريل عام 1816 م وصل الأسطول الانجليزي إلى ميناء الجزائر ، قصد اقتداء أسرى مملكتي سردينيا ونابولي .

وقد جاء في تقرير الحاج عبد الله مبعوث الداي عمر الباب العالي : " أنه عندما اقترب اللورد اكسموث من ميناء الجزائر أرسل مبعوثا الى الباشا ليخبره بأنه يريد اقتداء أسرى سردينيا الموجودين في الجزائر ، لأن هؤلاء الأسرى يعتبرون من رعايا انكلترا .. وإذا وافق حاكم الجزائر على ذلك فإنه مستعد أن يدفع مقابل كل رأس من هؤلاء الأسرى البالغ عددهم 50 أسير ألف ريال . وقد وافق الباشا على اقتراح الذي عرضه عليه أكسموث . "

¹ عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، تونس الجزائر ليبيا من - - 1816 إلى 1871 ، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972 ، ص 253 .

الا أن القائد الانجليزي طلب أيضا من الباشا أن يطلق سراح الأسرى النابوليتانيين البالغ عددهم 1200 أسير .. وقد عرض القائد الانجليزي على الباشا ألف ريال مقابل كل رأس ، الا أن الباشا لم يستجب لهذا الطلب .. النابوليتان دولة مستقلة ولها ملكها .. ولذا فإننا مستعدون أن نسلم لكم هؤلاء الأسرى ولكن بعد أن تدفعوا ثمن فديتهم المتفق عليه". وبعد هذا التقرير اتجه الأسطول الانجليزي نحو تونس وطرابلس ، حيث أبرم مع حكامها معاهدة سلم ، وحرر أسرى سردينيا ونابولي منهما دون أن يدفع لهما فدية¹. وفي شهر ماي عام 1816 م عاد الأسطول الانجليزي إلى ميناء الجزائر ، ولما علم اللورد اكسموث باستعداد الجزائر لمحاربته رفع العلم الأبيض ، وقبل تسوية مشكلة الأسرى في إطار الأوامر السلطانية ، كما طلب من الداوي أن تتولى السفينة الانجليزية مهمة حمل هدية الجزائر إلى الدولة العثمانية . ومن جهة أخرى اعترف الداوي بمملكة هانوفر الجديدة ، وسمح لها بالتمتع بالامتيازات التي نصت عليها المعاهدة الجزائرية الانجليزية ، باعتبار تلك المملكة تابعة للإمبراطورية وبسبب نتائج هذه الحملة جعل كل من مملكتي نابولي وسردينيا تدين الحملة البريطانية وتتهم بريطانيا بالتقاعس تجاه واجباتها المسيحية .

قررت انجلترا تجهيز حملة ثانية ضد الجزائر ، حيث غادر أسطولها ميناء بليموث بقيادة اللورد اكسموث يوم 28 جويلية 1816 م وانظم اليه الأسطول الهولندي بقيادة الأميرال فون كابلان ، إن ايلة الجزائر كانت تعلم منذ سنة أن الأسطول المسيحي يتجول في عرض البحر المتوسط ، وأن الدول الأوروبية تضمّر الشر ضدهم . وقد جاء في إحدى الوثائق العثمانية وهي عبارة عن رسائل بعث بها عمر باشا إلى السلطان العثماني بتاريخ 01 جوان 1816 م : " لقد علم أوجاقنا أن الدول المسيحية قد تحالفت على إنشاء أسطول مشترك بينها وقوة مدفعية لمحاربتنا ، ومن الواضح أنهم يضمرون لنا النوايا المسيئة تجاهنا ... " . وقد شرح اللورد اكسموث خلال هذه الحملة بأن مؤتمر فيينا قد قرر إلقاء الرق والقرصنة ، وطلب أن يقبل الجزائريون هذا القرار وأن يحرروا أرقاءهم المسيحيين ، وقد كان الداوي والديوان كلاهما غاضبين من هذا الموقف . كيف

¹ ميلود بلعالية ، المرجع السابق ، ص ص 137 - 139 .

يمكن للدول الأوروبية أن نفسها حق التدخل في نظام قائم منذ أمد طويل على عادات وقوانين بلادهم¹. ومما تجدر الإشارة إليه أن اللورد اكسموث وفون كابلان أميرا البحر كانا على علم بالتحصينات ونقاط دفاعات مدينة الجزائر بفضل النقيب وارد والضابط زيغل المذين مكنا رئيسهما من معلومات هامة حول الاستراتيجية الدفاعية لمدينة الجزائر².

وكانت الذخيرة الحربية الانجليزية والهولندية قد بلغت 450 مدفعا من عيارات مختلفة ، أما تحصينات مدينة الجزائر فتتوزع على الشكل التالي : المنطقة الشمالية 44 قطعة مدفعية ، وفي برج الفنار 48 مدفعا ، وفي البرج الشرقي 60 مدفعا ، وفي برج السردين 15 مدفعا ، وكان الداوي عمر أرسل تقريراً مفصلاً عن حالة الحصار بصفة عامة ، حملها رئيس الميناء القبطان علي الى الباب العالي جاء فيها : " رغم أننا أبرمنا اتفاقاً مع الانجليز والهولنديين والذي نص على انتظار مدة ستة أشهر لإعادة النظر في مسألة الأسرى فإنهم قدموا الى الجزائر بأسطول ضخم يتكون من 30 قطعة ، وكان ذلك يوم 15 أوت 1816 م ، وبعد أن رفع الأسطول العلم الأبيض رمز الصلح والسلام ، أرسلوا لنا زورقا ليسلم لنا رسالة تتضمن شروطهم والتي قضت بأن نسلم لهم جميع الأسرى الموجودين في الجزائر ، ونرد على رسالتهم خلال ساعة واحدة فقط لما شرعنا في إعداد الجواب ، تقدمت بعض قطع الأسطول من التحصينات ، وبدأت تقصف مواقعها بالقذائف ... واستمرت الحرب بكل ضراوتها من الساعة الثامنة صباحاً إلى منتصف الليل .

ويمكن سر خسارة الجزائريين إلى عامل تضيق الوقت بخصوص الدفاع عن المدينة ، لأن الجيش كان ينتظر أوامر الداوي ، فلو تمكن المدافعون من إشعال النار وقصف الأسطول الانجليزي والهولندي لكان النصر حليفهم . ويرى القنصل الفرنسي دوفال 1814 م- 1827 م أن سر نجاح الحملة على الجزائر يرجع إلى أن الأيام التي قضاها الأميرال البريطاني في الجزائر ففي خلال سنة واحدة زارها ثلاث مرات من أجل المفاوضات ، تمكن من خلالها من معرفة مواقع القوة والضعف في تحصينات مدينة

¹ ولیم شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816 - 1824 ، تر/ إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 ، ص 150 .

² ميلود بلعالية ، المرجع السابق ، ص 140 - 142 .

الجزائر ، وسرعة الداي عمر من أجل التفاوض فلو آخر ذلك لما تمكن الانجليز من إحراز النصر ، لأنه في اليوم الثاني نفذت الذخيرة الحربية ، وكان حجم الخسائر كبيرا لدى الأسطول المشترك . وهو ما ذهب إليه شالر عندما ذكر باعتراف الجزائريين بعجزهم عن المزيد من المقاومة¹ . ثم قبلوا الشروط

المهينة التي فرضها المنتصرون ، أما المؤرخ الأمريكي وولف فيقول : " عندما سكنت المدفعية سارع الداي عمر بعقد السلام بالشروط الانجليزية الهولندية عمليا ما عندها من بارود وقذائف ، وكانت غير قادرة على القيام بهجوم آخر " لقد كانت شروط المعاهدة التي فرضها المنتصرون على الجزائر قاسية ، إذ نصت على الغاء نظام الرق وتحرير الأرقاء المسيحيين الموجودين في الجزائر بمختلف جنسياتهم، ودفع تعويض حربي مقداره 500000 فرنك ، واعتذار الداي علانية عما جرى للقنصل الانجليزي .

ومن مجموع 3000 أسير كان موجودا بالجزائر تم تحرير نصف هذا العدد وهم موزعون على النحو التالي: نابولي صقلية 1110 ، سردينيا جنوة 62 ، بيدمونت 6 ، روماني 174 ، توسكانيا 6 ، اسبانيا 226 ، البرتغال 7 ، اليونان 7 ، هولندة 28 ، انجلترا 18 ، فرنسا 2 ، النمسا 2 المجموع 1642 أسيرا² .

والملاحظ أن هولندة عقدت هي أيضا معاهدة مع الجزائر أورد الزهار: " وكذلك عقد الصلح مع الهولنديين ولم يدفعوا شيئا مما كانوا يطلبونه منهم وهو غرامة سبع سنين ، وكانوا يعتزمون يدفعوا غرامة ثلاث سنين ثمنا للصلح ، تدفع في أجل معوم .

لقد اختلفت الكتابات في تقدير حجم الخسائر المادية والبشرية لكلا الطرفين خلال هذه المواجهة العنيفة فبخصوص عدد الجرحى والقتلى إن الوثائق الجزائرية تشير الى 300 قتيل في صفوف الجزائريين آلاف انجليزي وهولندي ، بينما يذكر شالر أن حوالي 600 قتيل وجريح جزائري و 128 قتيل انجليزي 690 جريحا انجليزيا ، و 13 قتيلا و 25 جريحا هولنديا . أما شاو فقد قدر القتلى والجرحى في صفوف الجزائريين ب 600 ، و 173 قتيلا 744 جريحا هولنديا وانجليزيا. أما تقرير القبطان الأمريكي سومر الذي تحدث

¹ وليم شالر، المرجع السابق ، ص 292 .² محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791 - 1830)، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994 ، ص 64 .

عن مقتل 3000 جزائري من جراء القصف ، وتعرض نصف المدينة للحرق وتم احراق الأسطول الجزائري . كان حجم الخسائر كبيرا إذ تحطمت معظم السفن الانجليزية من جراء المدفعية الجزائرية ، ويشير دوفال بأن هناك حوالي 3000 قتيل في الجانب الجزائري ، كما تضرر الميناء والتحصينات ومخازن الأسلحة والبارود من القصف المدفعي ، كما تحطمت معظم بنايات مدينة الجزائر . وقد حمل الجيش الجزائري الداي عمر مسؤولية أضرار المصائب التي تعرضت لها الجزائر لذا تم اغتياله من طرف عناصر الانكشارية عام 1817 م .

ومن البديهي أن تكون للحملة نتائج خطيرة على نشاط البحرية الجزائرية منذ مطلع القرن 19 م ، فبتحرير الأسرى المسيحيين دون فدية ضيع على الجزائر فرصة انتعاش الخزينة بحوالي مليونين من الريالات الفرنسية ، والملاحظ أن الحملة الانجليزية الهولندية لعام 1816 م قد أسهمت في إنهاء الحكم العثماني في الجزائر.

7 - الحملة الانجليزية على الجزائر 1824 م :

وفي أواخر عام 1823 م وقع حادث زاد من توتر العلاقات بين البلدين، حيث تشاجر الداي حسين مع قنصل بريطانيا مكدونيل و حسب تفاصيل القصة الآتية فإن ذلك يعزى لما يأتي : " عندما نشبت ثورة أكتوبر 1823 م قرر الباشا أن يلقي القبض على المتمردين الذين احتموا بمقر القنصل البريطاني، وقد رفض هذا أن يسلمهم إلى حكومتهم بدعوى الحصانة القنصلية، عندئذ، أمر الباشا باقتحام مركز الممثل البريطاني وقد انتهى الأمر أخيرا إلى قطع العلاقات بين البلدين، ولم تضع الحكومة البريطانية هذه الفرصة الغالية عليها، فقامت بحملة عسكرية بحرية على الجزائر.

أعاد الانجليز الكرة مرة ثانية في يوم 24 جويلية 1824 م وشنوا حملة عسكرية ضخمة ضد مدينة الجزائر وفي هذه المرة وجدوا مقاومة كبيرة من طرف الجزائريين الذين لم يستسلموا ، حتى قاموا برد الهجوم وكان الأهالي قد غادروا المدينة نحو المرتفعات المجاورة ليا ولم يبق في المدينة سوى الجنود الذين صمدوا ووقفوا في وجو المدافع الانجليزية بكل بسالة وشجاعة وأرغموا الانجليز في الأخير على الانسحاب من ميدان

المعركة ، والقيام بإبرام معاهدة صلح مع الداي الذي قبل بعدد من الشروط الانجليز مقابل استبدال قنصلهم ماك دونال.

لقد واجهت الجزائر الحملات الانجليزية بكل بسالة دون أن تلقى أي مساعدة عسكرية أو سياسية من طرف الدولة العثمانية ، التي لم يكن في وسعها تقديم أي شيء سوى التعبير عن رفضها لهذه الاعتداءات المتكررة على ولاياتها خاصة الجزائر المستهدفة الرئيسي ، على عكس السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر التي استطاعت أن تحتوي جميع تلك الاعتداءات والحملات سواء بالقوة أو المعاهدات والاتفاقيات حتى لو شهدت العديد من التنازلات وتقديم الامتيازات لبعض الدول الأوروبية مثل فرنسا و انكلترا تجنباً لشرها¹.

المحاضرة التاسعة

المعاهدات بين الجزائر وبريطانيا

يذكر الباحث يحي بوعزيز أن مجموع ما أبرمته إنجلترا من اتفاقات و معاهدات مع الجزائر بلغ 27 معاهدة.

كما أبرمت إنجلترا معاهدة مع الجزائر عام 1703 م، حيث بعثت الملكة آن القائد البحري بينك بهدايا ثمينة إلى داي الجزائر من أجل إبرام معاهدة خاصة تضمن لها تحسن العلاقات التجارية بين إنجلترا و بين الجزائر، مثل تحسينها مع فرنسا و الجزائر آنذاك فوافق الديوان على هذا الطلب².

- جاء في مختلف الدراسات أن الانجليز لم يهتموا كثيرا بفداء الأسرى ، وقد برروا ذلك بحجة أن إنقاذهم لهم سيقنع البحارة الجزائريين بأن الأسرى الانجليز مغامرة تجارية مربحة ، ولقد أجمع أغلب الباحثون بأن العلاقات الجزائرية الانجليزية خلال العهد العثماني كانت قائمة على أساس التعاون ويسودها الوئام طوال قرون ، هذا رغم الغارات البحرية التي كانت تقودها أحيانا إنجلترا ضد الجزائر.

وتحدث مولود قاسم نايت بالقاسم عن تطور العلاقات الجزائرية والانجليزية في العهد العثماني وقدم قائمة المعاهدات التي عقدت بين البلدين ، حيث أثبتتها بتواريخها والأطراف



1 محمد زروال ، العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791 - 1830) ، المرجع السابق ، ص ص 76 - 77 .
2 محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، تق و تح محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 ، ص ص 27 - 28 .

التي أمضتها إلا إنه لم يتعرض لمحتوى بنود تلك المعاهدات بالتفصيل . أما المعاهدة التي تحدث عنها أحمد الشريف الزهار في مذكراته ولم يشر إلى تاريخ انعقادها بحيث اكتفى بقوله : " بعد الكارثة البحرية الجزائرية توجت بإطلاق سراح 1200 أسير منهم أسرى إمارتي نابولي وسردينيا الذين أطلقوا مقابل دفع 2500 فرنك فدية لكل أسير من نابولي و 1500 فرنك لكل أسير من سردينيا".

- إلى جانب العلاقات التجارية بين البلدين ربطتهما علاقات دبلوماسية أخبرنا عنها القنصل الإنجليزي بالجزائر بروس الذي عمل قنصلا في الجزائر خلال الفترة 1763 م - 1765 م وهو من بين الرحالة الذين كتبوا عن شمال أفريقيا ، خاصة مسألة تزوير جوازات السفر فقد كانوا كثيرا ما يتهمون بهذه المسألة إذ يقول بروس أن الجزائريين يعتبرون كل العمارات التي تمر في البحر ، وحتى عبر مضيق جبل طارق متعاملة مع الدول العدو خاصة إسبانيا ، فنظرا لما لها من تجربة كبيرة في هذا المجال مع فرنسا، أصبحت تحرص على تفتيش كل السفن التي تمر بمينائها¹.

ولقد كان للقنصل مهمته في الحرص على عدم حدوث مثل هذه التصرفات ، ففي أحد المرات حدث وأن اتهمت بريطانيا بتزوير جوازات السفر فأدانها الداي علي باشا خاصة وأنه لم يحصل على تفسير رسمي من الحكومة البريطانية لهذا رفض رفضا تاما الاستماع إلى القنصل.

تجدر الإشارة إلى أنه ممن تولى القنصلية البريطانية اللورد أسبنوال من 1754 م إلى 1761 م ، ومن بعده اللورد سيمون كرويس الذي تولى المنصب بصورة مؤقتة في انتظار مجيء القنصل الجديد ، وحل محله فورد الذي كان أحد التجار القداماء في الجزائر وبعد وفاته تولى المنصب اللورد حليفاكس ومن بعده بروس . إن ما جعله يزداد تشوقا للمجيء للجزائر ، هو التقاءه في نابولي ببعض الأسرى الذين تم شرائهم من قسنطينة فحدثه عن جمال الآثار الرومانية التي شاهدها هناك ، فاتجه مباشرة إلى ليفورن في

¹ يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1999 ، ص ص 55 - 56.

أحد السفن الحربية وقصد الجزائر في سنة 1763 م ولقد وصف بروس الترحيب الذي ناله حينما وصل إلى الجزائر.

وتمثلت أهم المعاهدات المبرمة بين البلدين فيما يلي:

1 - معاهدة السلام 1622 م: تبنت العلاقات الجزائرية الانجليزية الحل التفاوضي وكانت هذه بريطانيا إلى ذلك بحيث عقدت معاهدة سلام مع الجزائر في سنة 1622 م ، وتم تعيين القنصل الانجليزي في الجزائر ، وتشجع التجار الانجليز على بيع بضائعهم في الجزائر ، وتعتبر هذه المعاهدة القاعدة التي تركز عليها جميع اتفاقيات البلدين ، لكن هذه المعاهدة لم تكمل بنجاح لتثبيت السلام بين الطرفين فقد كان الانجليز سباقين إلى نقذها كما يقول المؤرخ الأمريكي وولف : " وكما حدث مع الفرنسيين ، فإن أول المخلين ببند المعاهدة هم الانجليز وليس الجزائريين .. " بعدما نقض الانجليز المعاهدة كان ذلك في صالح الجزائريين وخاصة طائفة الرياس لأنه ذلك يعني لهم استئناف الغزو وعملية القرصنة وعلان الحرب مع الانجليز¹.

2 - معاهدة 1646 م: قام بها القنصل الانجليزي إدمون كاسن وجاءت هذه المعاهدة نتيجة لتزايد عدد الأسرى الانجليز مما دفع أهلهم للضغط على الحكومة الانجليزية من أجل اقتنائهم ، حيث حضي القنصل باستقبال الباشا والديوان ، وتم توقيع معاهدة جديدة نصت على عدم الإساءة للمراكب الانجليزية في الجزائر ، بالإضافة إلى ذلك بنود أخرى تتعلق بحقوق الجالية الانجليزية في الجزائر. على الرغم من السلام الذي أكدته معاهدة 1646 م إلا أن التوجه الجديد لحكومة الجمهورية كان يقضي باستعمال الصرامة في التعامل مع الايلات المغربية بشكل عام وقد ظهر ذلك جليا في التعليمات التي زود بها القنصل الانجليزي الجديد روبر براوني ، وهي تعليمات تميزت بالوضوح والجفاء وعدم التساهل مع أي عمل يخل بالمعاهدة وتدعيما لمهمة قنصلها أرسمت حكومة الجمهورية أسطولها بقيادة الأميرال بلاك إلى البحر المتوسط ليكون على أهبة الاستعداد لأي أمر طارئ.

3- معاهدة سنة 1660 م: إن تمويه أعلام السفن لصالح دول أجنبية الذي مارسه إدارة كرومويل عمى نطاق واسع ، أثار سخط الرياس ودفع الديوان الى توجيه رسالة شديدة

¹ وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص ص 177 - 178 .

اللهجة إلى حاكم إنجلترا ، ولقد اشتكى القنصل براوني من تهديدات الجزائريين لو وما أبدوه من تصرف فظ تجاه رعاياه. وفي نهاية 1659 م تفاديا لحدوث قطيعة بين البلدين جاء إلى الجزائر المورد وينشلسي لعقد معاهدة سلام لكن المحادثات لم تسفر على نتيجة تذكر ، فقد طالب خليل آغا بأن تفتح الموانئ الانجليزية للسفن الجزائرية ، وأن يسمح للرياس بتفتيش حمولات السفن التجارية الانجليزية ، كما كانت الجزائر تطلب ضمان حياد انكلترا في صراعها مع اسبانيا . وفي خريف 1660 استدعى رمضان آغا القنصل براوني وأخبره أنه سيسمح للرياس بتفتيش جميع السفن التجارية بما فيها الانجليزية وقد جلبت بعض السفن إلى ميناء الجزائر، بعد ذلك أذعن القنصل الانجليزي لمطالب الجزائريين في المعاهدة التي أبرمها في ديسمبر 1660م، إلا إن هذه المعاهدة رفضت لننن المصادقة عليها كونها أقرت بحق التفتيش ومصادرة الأملك المشحونة العائدة للأعداء ، وذلك على رغم تعهد الجزائريين بدفع ضعف أجره السلع المصادرة كتعويض للقباطنة الانجليز¹.

4 - معاهدة السلام سنة 1662 م: عاد الرياس إلى مهاجمة السفن التجارية الانجليزية ، وأرسل الملك شارل الثاني سنة 1661 م كونت دي ساندويتش في مهمة تتعلق بتسوية مشاكل القرصنة مع الجزائر، إلا أنه لم يصل إلى هذه التسوية المرغوبة ، وأرسلت إنجلترا بحملة قوامها 23 سفينة قصفت مدينة الجزائر ورد الأتراك بالمثل ، وفي آخر النهار قفلت السفن راجعة دون أن تحقق أهدافها ، وبفشل الحملة التي قامت بها إنجلترا لتأديب الجزائر على عمليات القرصنة التي تقوم بها ضد دول أوروبا ، وفي هذه الفترة كان الأسطول الجزائري في أوج قوته ، فلجأت انكلترا كالعادة إلى أسلوب التفاوض ، وعقدت الجزائر مع الأميرال السيرجون لاوسون معاهدة سلم في 23 افريل 1662 م وقد أرضت إنجلترا حيث ضمنت هذه المعاهدة حرية التجارة وتوقف أعمال القرصنة وفداء الأسرى الانجليز، ونصت أيضا على استخدام سفن الطرفين لجوازات مختومة لكي يتم عند التفتيش التأكد من هويتها ، وفي 10 نوفمبر عقد شعبان آغا مع القنصل روبرت براوني معاهدة سلم وفق البنود المتفق عليها سابقا، ورغم ذلك فقد

¹ وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص ص 179 - 180 .

عاد التوتر بين علاقات البلدين في نهاية 1663 م بسبب عدم التزام الانجليز بشروط المعاهدة السابقة¹.

5 - معاهدة 1682 م : لم تتمخض المعاهدات المتوالية مع الجزائر عن مكاسب كبيرة للإنكليز ، لذلك جرى توقيع أول معاهدة انكليزية مع الجزائر في 10 ابريل 1682 م بفضل جهود قنصلها صموئيل مارتن 1674م- 1682م تضمنت تحديد عدد المسافرين الأجانب على متن السفن الانكليزية ، وكذلك عدم التسبب في إثارة الهجمات ضد البحارة الجزائريين مقابل عدم الإساءة للسفن الانكليزية أو مطالبتها بالخضوع لطريقة الحصول على الإذن والتفتيش من البحارة الجزائريين².

تخلت إنجلترا بحكم المعاهدة لصالح الجزائر عن 350 وحدة بحرية تجارية ، مع رد الأسرى الجزائريين الموجودين لدى إنجلترا من دون مقابل ، وعدم المطالبة بالأسرى الانجليز الموجودين ، إذ لم يهتم الملوك الانجليز كثيرا بفداء رعاياهم ، وقد سوغوا ذلك بحجة أن إنقاذهم سيقنع البحارة الجزائريين بأن أسر الانجليز مغامرة تجارية رابحة ، وقد وصفت المعاهدة بالسلم المهيمن³.

ثم توترت العلاقة بين البلدين بعد أن قام الداوي محمد عثمان بطرد القنصل الانكليزي فريزر عام 1767م في قاعة الاستقبال أمام جميع الدبلوماسيين قائلا له : "سأكرس سيفك على رأسك بيدي إذا ما عدت الى تقلده على جنبك " ، وذلك بسبب تعالي القنصل واستكباره وحمله السلاح في حضرة الداوي⁴.

وتحسنّت العلاقات بعد ذلك وذلك بعد الفتور الذي أصابها بسبب إهانة قنصلها ، وكذلك رفض معاهدة السلام مع الو م أ ارضاء لبريطانيا . ثم عاد التوتر الى العلاقات بين البلدين بين عامي 1803 م و 1804 م بسبب طرد القنصل البريطاني فالكون من الجزائر التي طلبت استبداله بعد اتهامه بجنحة أخلاقية إلا أن بريطانيا رفضت ذلك وهددت بإرسال

¹ عياشي بلقاسم ، المرجع السابق ، ص 860 .

² وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص 180 .

³ حفيظة خشمون ، مهام مفتدى الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة قسنطينة 2007 ، ص 23 .

⁴ مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 228 .

أسطولها لقصف العاصمة الجزائر وقد استعدت هذه الأخيرة للمواجهة ، فتراجع الانجليز وعينوا قنصلا آخر¹.

معاهدة 1816 م : نصت على إلغاء نظام الرق وتحرير الأرقاء المسيحيين الموجودين في الجزائر بمختلف جنسياتهم ، ودفع تعويض حربي مقداره 500000 فرنك ، واعتذار الداي علانية عما جرى للقنصل الانجليزي .

أما عن النتائج السياسية لهذه المعركة فقد أمضيت معاهدة بين الطرفين في 31 أوت 1816 م تعهدت فيها الجزائر بما يلي:

- التخلي عن استرقاق المسحيين.

- تحرير كافة الأرقاء المسحيين وقد بلغ عددهم 1200 أسير .

تقدم الجزائر تعويضات مالية لكل الهيآت التي تضررت². وقد قدرت هذه التعويضات بنصف مليون فرنك تقريبا، غير أنه تظل الولاية حرة في ممارسة القرصنة ، إذ لم يتعرض لها في هذه المعاهدة و هذا ما ذهب إليه رابح بونار لم ينصوا على وضع حد للقرصنة كما تقتضيه اتفاقية فيينا الدين جاءوا كمدافعين عنها³. وهذا الهجوم الإنكليزي كان عامل إضعاف شديد لأسطول الجزائر⁴.

وبعد أن تولى خوجة الخيل حسين منصب الداي بعام واحد، وبالضبط في سبتمبر 1819 م على وجه التحديد ، جاء أسطول أنجليزي- فرنسي بقيادة الأميرال بين (جيريان وفريمانت) ليلغن الداي قرارات مؤتمر (إيكس لا شاييل) ولكن الداي حسين رفض الموافقة على القرارات ، مؤكدا حقه في مطاردة كل سفينة تنتمي لدولة لم يعترف بها، أما بالنسبة لقضية الرق فقد قال ممارسته غير محرمة دينيا، وأنهى الاجتماع دون اتخاذ أية قرار⁵. وعلى كل فإن طابع العلاقات بين البلدين يتأرجح بين السلم والحرب غير أن طابع السلم هو الغالب في أغلب الفترات.

¹ جمال قنان ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 – 1830 ، المرجع السابق ، ص ص 171 - 175 .

² محمد زروال ، المرجع السابق ، ص 65 .

³ رابح بونار ، المغرب العربي (تاريخه وثقافته) ، ط 3، دار الهدى، عين مليلة (الجزائر) ، 2000 ، ص 381.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000 ، ص 193 .

⁵ مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق، ص 210 .

ومهما قيل أن بريطانيا عارضت الاحتلال الفرنسي للجزائر، فسواء كان ذلك ودا وصداقة منها نحو الجزائر أم غيرة من الفرنسيين، فهي تسجل كنقطة إيجابية حسب مولود قاسم يَخْتَمُّ بها تاريخ العلاقات الجزائرية البريطانية خلال القرن التاسع عشر¹.

المحاضرة العاشرة

الامتيازات الانجليزية في الجزائر

أقامت الجزائر علاقات ودية مع بريطانيا قبل مجيء الأتراك في أوائل القرن 16 م، إذ أن أهمية الجزائر التجارية قد جعلت فرنسا وبريطانيا في تنافس دائم حول إقامة علاقات دائمة مع الجزائر، وقد استفادت هذه الأخيرة من تعاملها مع الطرفين.

و ما يؤكد هذه العلاقة ما ذهب إليه دو غرامون حيث قال: " كان الإنجليز في بداية القرن السادس عشر يتبادلون تجارة كبيرة مع الجزائر، إذ يصدرون إليها السلاح والبارود... "

² و يضيف " و مقابل هذه الإمدادات العسكرية و البحرية التي كان الإنجليز يبيعونها للجزائر لدى الاحتياج، كانت هذه ترخص لهم شراء الحبوب، و الزيوت و الأصواف، و الشموع، و الجلود، و مواد أخرى لديها لتصديرها إلى إنجلترا، و تعفيهم من رسوم التصدير التي كانت تفرض على الأمم الأوروبية الأخرى و التي كانت باهضة " وهكذا إذن بدأت العلاقات مع إنجلترا سلمية ودية³.

ولقد جمعت الجزائر وبريطانيا علاقات تجارية كبيرة، كما عقدتا عدة معاهدات سلم وتجارة، وفي سنة 1807 م رسخت إنجلترا مركزها في الجزائر وسمح لها أن تحل محل الفرنسيين، وحصلت على مركز القالة الفرنسي واستغلته لمدة عشر سنوات.

العلاقات بين الجزائر وإنجلترا قبل منح امتيازات 1807 م :

كانت علاقة الجزائر بإنجلترا مجرد علاقة تبادل مصالح ونفوذ، خاصة وأنها كانت تسعى دائما إلى تعزيز العلاقات الجزائرية الفرنسية وفسادها عن طريق قنصلها

¹ مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع نفسه، ص 214.

H. De Grammont, *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)*, Paris. 1887, P.136-137.

³ عياشي بلقاسم، المرجع السابق، ص 858.

المتواجدين في الجزائر ، وذلك بسبب منافستها لفرنسا حول الحصول على الامتيازات داخل التراب الجزائري خاصة خلال القرن 18 م¹.
لقد كانت بريطانيا تسعى دائما للسيطرة على الممتلكات الفرنسية في أفريقيا لذلك فرضت عليها حصارا بمساعدة بعض الدول الأوروبية وهو ما اصطاح عليه بالحصار القاري الثالث 1792م-1793م وامتنعت على إثره بعض الدول الأوروبية التعامل مع فرنسا ، إلا أن هذا الحصار فشل بعد أن تمكنت الولايات المتحدة من تزويد فرنسا من الحاجيات الاقتصادية ، وهذا الشيء جعل بريطانيا تغير استراتيجيتها في مواجهة فرنسا وذلك بالاستعانة بالجزائر حيث أنها قامت بحل الصراع القائم بين الجزائر والبرتغال وفعلا نجحت في تحقيق مسعاها بأن عقدت هدنة بين الطرفين المتصارعين سنة 1793 م لمدة سنة ، بحيث أجبر الأسطول الجزائري بعد ذلك إلى التوجه للموانئ الفرنسية حيث اصطدم بالسفن الأمريكية في معارك طاحنة المفروض عليها من قبل ، ولكن سرعان ما عادت الحرب بين الجزائر والبرتغال في أبريل 1794 م بعد انقضاء الهدنة المبرمة بينهما ، وأعلن البلاط البرتغالي استعداده إلى غلق مضيق جبل طارق في وجه السفن الجزائرية ومنعه من التغلغل في المحيط الأطلسي ، وقد ساعدت هذه الإجراءات في عودة السفن الأمريكية إلى تمويل فرنسا مرة أخرى بعد زوال الخطر الجزائري.

انجلترا تحصل على الامتيازات في 1807 م :

في أواخر شهر ديسمبر 1806 م استدعى الداي أحمد باشا القنصل الفرنسي ليبلغه بأن الانجليز يعرضون مبلغ أربعون ألف قرش اسباني للحصول على الموافقة لاستغلال الامتيازات الإفريقية ، وأن المبلغ الذي يطلبه ستون ألف قرش اسباني ، وأنه سيفضل الفرنسيين إذا عرضوا مبلغا يزيد عن الذي يقترحه الانجليز ، لكن أوضاع فرنسا المالية جعلتها تمتنع عن القبول .

وبعد أيام قليلة من إبلاغ تانفيل بالعرض الانجليزي ، قررت السلطات الجزائرية سحب الامتيازات الإفريقية من أيدي الفرنسيين ومنحها للانجليز في 02 جانفي 1807 م ، لقد قبل هؤلاء دفع مبلغ خمسين ألف قرش اسباني كإتاوة سنوية ، وهو ما يعادل ربع مليون

¹ وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص 188 .

فرنك ، أي بزيادة قرابة مرة وثلث عن المبلغ الذي كان يدفعه الفرنسيون. وفي 05 جانفي 1807 م نصب الرعية الاسباني اسكوديرو كوكيل للإنجليز عمى الامتيازات الإفريقية . طلب من تانفيل سحب السلع والمواد المختلفة الموجودة في مستودعات الشركة الفرنسية ، وتسليم مفاتيح مقراتها للسلطات المحلية ، لم يمنع رفض القنصل تسليم مفاتيح المقرات من وضع اليد عليها . واكتفى هذا الأخير بالاحتجاج والتسجيل بأن ممتلكات الشركة الفرنسية الموجودة في هذا المخازن تصل قيمتها إلى مائة ألف قرش اسباني¹ .

وقد حاول القنصل الفرنسي تانفيل استرجاع الامتيازات وبالفعل حصل على عقد محرر ومختوم من الداوي أحمد أعاد فيه الامتيازات الإفريقية للفرنسيين ، لكن اغتيال هذا الأخير يوم 7 نوفمبر 1808 م أضاع هذه الفرصة عليهم ، لكن السلطات الجديدة رفضت هذا الأمر ، لأن الامتيازات كانت بين أيدي الانجليز وهؤلاء لم يخلوا بأي شرط من شروط العقد.

ومما يجب تسجيله بهذا الصدد هو أن هناك بعض المسؤولين في قمة هرم السلطة لم يكونوا مرتاحين كثيرا لمجانب الانجليز ، لمسنا هذا الشعور لدى بعض هؤلاء منذ السنة الأولى من بدء الانجليز في استغلال الامتيازات ، ونلمسه الآن لدى المسؤولين الجدد الذين خلفوهم في مناصبهم ، فالداوي عمر وكذلك الخزناجي الذي عينه ووكيل الحرج يتقاسمون شعور عدم الارتياح للإنجليز الذي كان لدى كل من الحاج علي باشا ووزيره الأول وكذا وزيره للخارجية ، وكانوا ينتظرون الفرصة المناسبة لترضية فرنسا .

العلاقات بين الجزائر وانجلترا بعد منح امتيازات 1807 م :

استغلت بريطانيا تعكر العلاقات الجزائرية الفرنسية أحسن استغلال حيث وطدوا علاقاتهم مع حكام الجزائر، ومن مظاهر التقارب الجزائري البريطاني تلك الرسالة التي بعث بها ولي عهد انكلترا إلى الداوي الحاج علي سنة 1812 م مؤكدا له فيها أنه طالما استمرت الصداقة بين البلدين فإن انكلترا سوف تحمي عاصمة الجزائر من أي عدوان خارجي ، غير أنهم لم يستطيعوا الحفاظ على صداقتهم هذه فمجرد أن وضعت الحرب الأوروبية أوزارها عام 1815 م التفتت انكلترا إلى الأسطول الجزائري الذي استفاد من تلك

¹ ميلود بلعالية ، سياسة بريطانيا تجاه الجزائر (1580 – 1816) ، المرجع السابق ، ص ص 128- 129 .

الحروب حيث عرف انتعاشا كبيرا، فحاولت إنجلترا القضاء عليه حتى لا يعرقل نشاطها داخل البحر المتوسط، وعزمت على استغلال قرارات مؤتمر فيينا سنة 1815 م في القيام بحملة عسكرية بحرية على الجزائر، بحجة محاربة القرصنة وتجارة الرقيق، وبناء على ذلك انطلقت الحملة الانجليزية بقيادة اللورد اكسموث في 1816 م وكانت سببا في سحب الامتيازات.

في 03 سبتمبر 1816 م أي بعد أيام قليلة من الغارة الانجليزية ضد العاصمة، أبلغت السلطات الجزائرية القنصل مكدونالد بقرارها سحب الالتزام من الانجليز، والغاء التعاقد من شأنه معهم. والحجة التي تذرعت بها الحكومة لتبرير هذا الموقف هي أن هذا الالتزام لم يعد يمثل منفعة بالنسبة للإنجليز. و عليه حسب مولود قاسم أن طابع العلاقات بين البلدين كان بتأرجح بين الحرب و السلم ولكن الطابع الودي كان يغلب عليها خاصة طوال النصف الثاني تقريبا من القرن الثامن عشر و العشرية الأولى من القرن التاسع عشر و كان وديا للغاية¹.

الخاتمة:

يمكن استخلاص الاستنتاجات التالية:

- أن عداء اسبانيا كان قديما واستمر الى فترة طويلة من 1505 م الى غاية 1786 .
- الحملات الاسبانية كان هدفها القضاء على الحكم العثماني في الجزائر .
- انتهى الصراع بين الجزائر واسبانيا نهائيا بعد تحرير المرسى الكبير و وهران سنة 1792م.
- حصلت اسبانيا على امتيازات كبيرة في الجزائر وأصبح لها قناصل يرعون مصالحها في الجزائر .
- كانت العلاقات الفرنسية الجزائرية خلال القرن 16 م جيدة حصلت فرنسا على امتيازات في شرق الجزائر .
- كان لفرنسا تمثيل دبلوماسي في الجزائر منذ 1578 م .

¹ مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص 185 .

- قامت فرنسا بعدة حملات ضد الجزائر خلال القرن 17 م بهدف ضمان مصالحها في البحر المتوسط .
- أبرمت فرنسا معاهدات كثيرة أهمها معاهدة السلم المنوي سنة 1689 م .
- قامت فرنسا باحتلال الجزائر وانتهاء الحكم العثماني سنة 1830 م .
- كانت العلاقات بين الجزائر وإنكلترا ممتازة في فترات طويلة يغلب عليها المصالح المتبادلة.
- أبرمت إنكلترا معاهدات عديدة لضمان مصالحها وتجارتها وأصبح لها تمثيل دبلوماسي في الجزائر .
- قامت إنكلترا بتوجيه حملات للقضاء على القرصنة الجزائرية كان أبرزها حملة 1816 م .

قائمة المصادر والمراجع :

أولا / قائمة المصادر :

1 - الكتب العربية :

- بربروس خير الدين: مذكرات خير الدين بربروس ، ت ر مجمد الدراج ، ط 1 ، شركة الأصاله للنشر والتوزيع ، الجزائر 2010.
- بن ميمون الجزائري محمد ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، تق و تح محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972.
- بن هطال أحمد ، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785 ، تقديم محمد بن عبد الكريم، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 2004 .
- التلمساني محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلالي بن رقية ، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين اغارت عليها جنود الكفرة، تع، خير الدين سعدي، أوراق ثقافية.
- الراشدي ابن سحنون ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، عبدل تحقيق وتقديم ، مطبعة البعث ، قسنطينة، 1973.

- مجهول ، نبذة عن العصر في أخبار بني نصر ، تسليم غرناطة ونزوح المسلمين الى المغرب ، ضبطه وعلق عليه ألفريد البستاني ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد مصر ، 2002.

- الوزان الفاسي حسن بن محمد ، وصف إفريقيا، ج 2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983.

2 - الكتب المترجمة :

- سبنسر وليم ، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر ، الجزائر، 2006 .

- شالر وليم ، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816 - 1824 ، تر إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 .

- ج.أ. و. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145 هـ ، 1732 م، تر، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس.

3 - الكتب الفرنسية :

- Borbrougger (A) : **Négativation Entre Hassan Aga Et Le Comte**

D'Alcondette , Gouverneur, D'Oran,(1541-1542) R.Af.N°09 , Alger.

- H. De Grammont, **Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)**, Paris. 1887.

- Grammont : (H.De) **relation entre la France et la régence d'Alger au XVII siècle premier partie K les deux carence de Simon dansa** (1606.1628) RAK N° 08 Alger 1879 .

- WatBled Et Mamerau , **Négociation Entre Charcles Quin Et khair Eddine** (1538-1540).R.A F. Alger ,1871 ,N° 15.

ثانيا / قائمة المراجع :

1 - الكتب العربية :

- ألتر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيين في افريقيا الشمالية ، ط1 ، تر محمود علي عامر، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت لبنان.

- إفانوف نيقولا ي : الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574 م، دار الغرب الاسلامي ،بيروت لبنان ، 1988م .
- بحري أحمد ، الجزائر في عهد الدايات دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية، ج 2، دار الكفاية، الجزائر، ط 1، 2013 .
- بنورف ، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر (1782-1830)، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 .
- بوعزيز يحي ، المراسلات الجزائرية الاسبانية في ارشيف التاريخ الوطني لمدير 1780 / 1798 م، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1993.
- بوعزيز يحي ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1999
- بوعزيز يحي ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك اوربا 1500 – 1830.
- بوعزيز يحي ، مفاوضات الصلح بين الجزائر وإسبانيا من خلال مراسلات الداوي محمد بن عثمان باشا (1780-1787).
- بوعزيز يحي ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999 .
- بو عزيز يحي ، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج 1، دار الهدى، الجزائر، 2009.
- بوعزيز يحي ، مدينة وهران عبر التاريخ، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.
- بونار رابح ، المغرب العربي (تاريخه وثقافته) ، ط 3، دار الهدى، عين مليلة (الجزائر)، 2000.
- التميمي عبد الجليل ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، تونس الجزائر ليبيا من 1816 إلى 1871 ، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972 .
- خلوفي بغداد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعة موجبة إلى طلبة السنة الثانية ليسانس تخصص تاريخ عام، 2015 - 2016.

- دراج محمد ، مذكرات خير الدين بربروس ، دار الأصالة لنشر والتوزيع ، الجزائر، 2010.
- اندريه ريمون ، المدن الغربية في العهد العثماني ، ت ر لطيف فرج ، ط1 ، دار الفكر والدراسات والنشر والتوزيع ، مصر 1981.
- الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1972 .
- زروال محمد ، العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791 - 1830)، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994.
- سعد الله ابوالقاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1982 .
- سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية ، ط ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000 .
- سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 2، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- سعيدوني ناصر الدين ، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792 - 1830) ، البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012.
- سعيدي خير الدين، الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر خلال العيد العثماني 1775 1518 ، من خلال مخطوط.
- الشلق أحمد زكرياء، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة، 1516-1916، جامعة عين شمس، ط 1، 2002.
- كوربين شوفالبيه ، الثلاثون سنة الاولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541م ، تر جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2000.
- شويتم أرزقي ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر ، وعوامل انهياره ، 1800-1830 م ، ط1 ، دار الكتاب العربي، الجزائر 2011.

- الطرابلسي ابي عبد الله محمد ابن خليل غلبون ، تاريخ طرابلس الغرب ، المسمى التذكار في من ملك طرابلس الغرب ، وما كان بها من اخبار ، نشره وصححه وعلق عليه الظاهر احمد الزاوي ، المطبعة السلفية ، القاهرة مصر ، 1929 م .
- عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي، 1514 - 1830 ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2005 .
- العسلي بسام ، خير الدين بربروس، 1547- 1470 ، دار النفائس، بيروت، ط 1، 1980.
- عائشة غطاس و أخريات ، الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر، 2007.
- فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، مكتبة دار الشروق ، بيروت لبنان، 1969.
- فركوس صالح ، المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلوم عنابة ، الجزائر، 2002.
- فكاير عبد القادر ، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية (910 - 1206 هـ) (1505- 1792م) دراسة تناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر.
- قنان جمال ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500 - 1830) ، المؤسسة الوطنية للطباعة ، الجزائر ، 1987.
- قنان جمال ، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619 - 1830) ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1987.
- قنان جمال ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد . 1994 .
- قنان جمال ، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 – 1830 ، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال للنشر والاشهار، منشورات متحف المجاهد ، الجزائر ، 2005.
- قنان جمال ، قراءات في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1530 م ، دار الرائد لكتاب الجزائر ، 1431هـ/ 2010 م .

- قنان جمال ، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619 - 1830 ، دار هومه ، الجزائر ، 2010.
- قنان جمال ، نصوص ووثائق في التاريخ الجزائر الحديث 1500 - 1830، دار الراوند الجزائر ، 2010.
- المدني أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، مصر.
- المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا ، 1492-1792 م ، ط 1 ، دار البصائر للتوزيع والنشر ، الجزائر 2007.
- المطوي محمد العروسي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
- الملي مبارك محمد، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ،الجزء الثالث مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر.
- نايت بمقاسم مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 م، ط 1 ، ج 1 ، الجزائر، دار البعث، قسنطينة ، 1985.
- نايت بمقاسم مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيمنتها العالمية قبل سنة 1830 ، ج 1، دار الأمة، الجزائر ، 2007.
- ج - ب - وولف، الجزائر و أوروبا ، تر وتع أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب. ، الجزائر، 1986 .
- وولف جون ، الجزائر واروبا ، تح . تع ، ابو القاسم سعد الله ، ط 2 ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009.
- 2 - المقالات :**
- بليلي أسماء ، التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن 10 هـ / 16 م، قراءة في الدوافع والنتائج، مجلة روافد البحوث والدراسات، العدد الثاني، جامعة غرداية، 2017.

- بلحميسي مولاي ، صفحات من تاريخ العلاقات الجزائرية الاسبانية – معاهدة 1786 بين الجزائر واسبانيا سبب ابرامها ، مضمونها ، نتائجها ، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 11، جوان 1974 ، ص07 .
- بلعالية ميلود ، سياسة بريطانيا تجاه الجزائر (1580 – 1816) ، مجلة عصور، المجلد 18 العدد الأول، جوان 2019.
- بن عتو بليرووات ، فتح وهران والمرسى الكبير ، في الكتابات التاريخية لعام 1792 ، مجلة الحضارة الإسلامية، وهران، العدد 12 ، جوان 2005.
- بو ذراع أحمد : الحملة الفرنسية على الجزائر دراسة عسكرية ، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية ، المجلد الرابع العدد الثالث ، جويلية 2022 .
- بو عزيز يحي ، مفاوضات الصلح بين الجزائر وأسبانيا من خلال مراسلات الداوي محمد بن عثمان باشا (1780-1787)، الثقافة ، الجزائر، 1985، العدد 89.
- بو عزيز يحي ، اسبانيا توسط الجزائر لإبرام صلح مع تونس ، مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر، العدد الرابع، 1988.
- التميمي عبد الجليل ، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الأول 1519 م ، المجلة التاريخية المغربية، خ6 ، جويلية 1976.
- تومي الطاهر ، حملة الكونت أوريلي على مدينة الجزائر سنة 1775 ، الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، ع 13-14.
- الثائرة الزهرة ، التلمساني، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة اسطنبول، ع 29.
- دراج محمد ، تأسيس الإيالة الجزائرية، مجلة العصور، ع16 ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية ، جامعة وهران ، جوان ديسمبر 2010م .
- دوبالي خديجة ، الغزو الاسباني على السواحل الاسبانية، مجلة القرطاس، العدد 06 ، ص 32 .
- العبيدي صباح نوري هادي ، معاهدة 1786 محاولة لتهدئة الصراع بين إسبانيا والجزائر، مج 3، مجلة الملوية لدراسات الاستشارية والتاريخية، جامعة ديالي، ع 6.

- عياشي بلقاسم، تأثير مسألة القرصنة والأسرى في العلاقات الجزائرية الأوروبية من القرن 16م إلى القرن 19م، مجلة البحوث للدراسات الإنسانية، المجلد 17، العدد 01، السنة 2023.
- غانم محمد، تحرير وهران في 27 فبراير 1792، الحدث والرمز، إنسانيات، 2018.
- فكايير عبد القادر، معاهدتنا الجزائر مع إسبانيا 1786 و 1791 ظروفهما وانعكاساتهما على العلاقات بين البلدين، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 05.
- قنان جمال، نظرة حول العلاقات الجزائرية الأوروبية في العصر الحديث 1500 - 1830 م، المصادر، العدد 18.
- محفوظ قداش، الجزائر فالحمد التركي، مجلة الأصالة، ع 52، 1977.
- مولاي بلحميسي، نيابة دولة في زيان، مجلة الأصالة، العدد 26.
- 3 - الرسائل الجامعية :
- بن يوسف مفيدة، الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري خلال العيد العثماني، 16 و 17، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011.
- 2010.
- جميل عائشة، الجزائر والباب العالي من خلال أرشيف العثماني 1530 - 1830، أطروحة دكتوراه جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017 2018.
- حيمر صالح، التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1541، وتأثيراته الإقليمية والدولية، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2007 - 2006.
- خشمون حفيظة، مهام مفتدى الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2007.
- دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية 1792 1509، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعم الآثار، جامعة وهران، 2013.
- 2014.

- دكاني نجيب ، الاحتلال الإسباني لسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائري خلال القرنين 10 هـ و 16 م، ماجستير، جامعة الجزائر، 2001. 2002.
- الشافعي درويش ، علاقات الایالة الجزائرية في الغرب المتوسط مع اسبانيا خلال القرن 16 م ، مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ ،المركز الجامعي غرداية 2010-2011.
- شويتيام أرزقي ، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1519 م – 1830 ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2005/2006 .
- العباسي محمد ، أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج الرايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين، لمؤلف مجهول، من سنة 1512 إلى سنة 1545 ، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2005.
- غطاس عائشة ، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر 1619-1694 ، ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1985.
- كرميش عزوز ، الحملات الاوروبية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بداية القرن 10 م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2015-2016.

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتويات
01	مقدمة
04	المحور الأول : علاقات الجزائر مع إسبانيا
04	المحاضرة الأولى : الغزو الإسباني لسواحل الجزائر وخطواته
04	- دوافع الغزو الإسباني لسواحل الجزائر
06	- مراحل الغزو الإسباني لسواحل الجزائر
10	المحاضرة الثانية: التحاق الجزائر بالدولة العثمانية
10	- تأسيس الایالة وانعكاساتها داخليا وخارجيا
13	- مرحلة الانضمام الرسمي
15	- نشاط خير الدين الجهادي 1519-1533
16	المحاضرة الثالثة: الحملات الاسبانية على الجزائر
16	1- حملة شرلكان على الجزائر 1541 م
27	- استمرار الجهود المبذولة لتحرير المدن والموانئ المحتلة



26	2- حملة دي منتريا 1732
31	3- حملة الكونت أوريلي 1775 م
34	4- حملة دون أنطونيو عام 1784 م
38	المحاضرة الرابعة: معاهدات الصلح بين البلدين
38	1- معاهدة الصلح بين البلدين سنة 1786
43	2- معاهدة 1791 م بين اسبانيا والجزائر
48	المحور الثاني : علاقات الجزائر مع فرنسا
48	المحاضرة الخامسة : العلاقات السياسية بين الجزائر و فرنسا
49	أولا - العلاقات السياسية بين الجزائر و فرنسا خلال القرنين 16م و 17 م
57	ثانيا - العلاقات السياسية بين الجزائر و فرنسا خلال القرن 18 م وبداية القرن 19 م
60	المحاضرة السادسة : الحملات الفرنسية على الجزائر
61	1- حملة بوفورت على جيجل 1664م
62	2- حملة ديستري على مدينة الجزائر في 26 جوان 1688م:
62	3- حملة دوكين الأولى 1682م
63	4- حملة دوكين الثانية 1683م
63	5- الحملة الفرنسية على الجزائر في 1830
65	المحاضرة السابعة : العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا
67	- الموانئ
67	- صادرات الجزائر الى فرنسا
69	- واردات الجزائر من فرنسا
71	- الامتيازات الفرنسية في شرق الجزائر
75	المحور الثالث : العلاقات بين الجزائر وانكلترا
75	المحاضرة الثامنة : الحملات الإنكليزية على الجزائر
76	1- حملة 1620 م على الجزائر
76	2- حملة 1662 م على الجزائر
77	3- حملة 1669 م على الجزائر
77	4- غارة نبورغ على مدينة الجزائر 1678 م
78	5- معركة بحرية في 1711 م
78	6- حملة اللورد اكسموث 1816 م
83	7- حملة الانكليزية على الجزائر عام 1824 م

84	المحاضرة التاسعة : المعاهدات بين الجزائر و انكلترا
86	1- معاهدة السلام 1622 م
86	2- معاهدة 1646 م
86	3- معاهدة 1660 م
87	4- معاهدة 1662 م
88	5- معاهدة 1682 م
89	6- معاهدة 1816 م
90	المحاضرة العاشرة : الامتيازات الانجليزية في الجزائر
93	الخاتمة
94	قائمة المصادر والمراجع
102	فهرس المحتويات

